سفر في عالم الموت والبرزخ



الشيخ الدكتور شبر الفقيه

مكتبة الفقيه

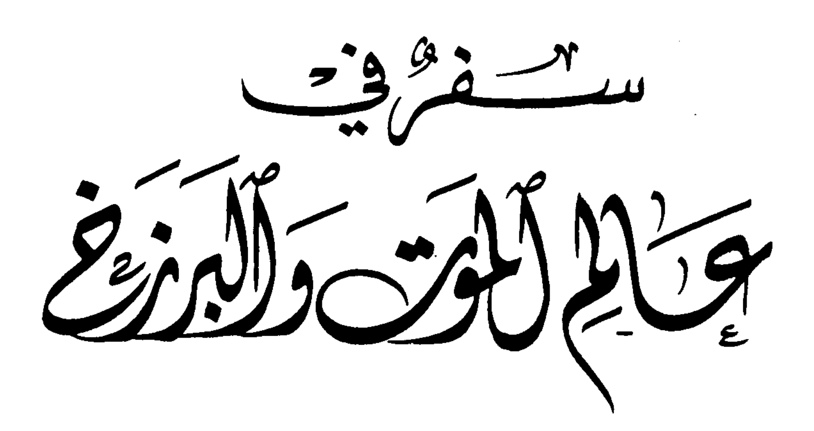
دار المحجة البيضاء

سفر في عالم الموت والبرزخ



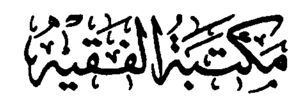
سفر في

عالم الموت والبرزخ



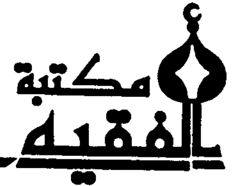
الشيخ الدكتور شبر الفقيه

دار المحجة البيضاء



الطبعة الثانية

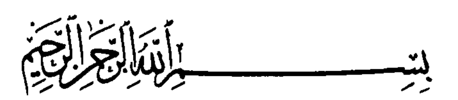
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



www.efaqeeh.com
البريد الالكتروني contact@efaqeeh.com

الكويت - السالمية - شارع أبو هريرة (متفرع من شارع عمان) مقابل مدرسة سالم الحسينان
تلفون: ٥٦١٣٩١٣ - فاكس: ٥٦١٤١٨٧ - ص.ب: ٣٠٥٢ - السالمية، الرمز البريدي: 22031 الكويت

دار المحجة البيضاء
حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com



﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . .﴾

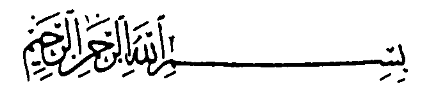
أقدم عملي إلى بقية الله في الأرضيين إمامي صاحب العصر والزمان، بقية الله على الأرض الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف. . . ورجائي القبول.

شبّر الفقيه

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام :

«قد لبس للحكمة جنتها، وأخذها بجميع أدبها، من الإقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ لها».

عبد الحميد المهاجر



المقدمة

في بداية كتابي هذا أود أن ألفت نظر القارىء الكريم إلى ما أراده الإسلام المحمدي من الفرد المسلم وما طالبه به.

(١)

إن الإسلام ذات الأيديولوجية الخيرة سعى ومن بوحه الأول نحو التهذيب والحد من الاندفاع والانحياز نحو واحدة من هاتين القويتين «الروحية ـ والبدنية» فلكل واحدة من هاتين القوتين صفة ملازمة لها، فلا رغبات روحانية متطرفة تؤدي بالإنسان المسلم إلى الرهبنة في الإسلام، قال رسول الله محمد ﷺ:

لا رهبانية في الإسلام

ولا مادية مغالية أوصلت الناس في هذا القرن إلى الحالة التي يرثى لها حيث فقد الإنسان سعادته، بل العكس كانت مجلبة للتعاسة والحزن، فلو كان للمستعمرين، ومستغلي الشعوب الضعيفة جزء من القيم الروحية لما ذهب هؤلاء لنهب وامتصاص خيرات الشعوب فقد سيطر على هذا العصر شعار القيم المادية سيطرة تامة ـ **الحق للقوة** ـ.

ويأتي دستور الإسلام «القرآن الكريم ليوجه البشر نحو الطريق الأمثل والسعادة اللامتناهية في المنزلتين الروحية والمادية».

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [القصص: ٧٧].

فقد رغب الإسلام في أن يجد في الفرد المسلم الملامح الفكرية الواضحة، ملامح لا تجدها في أمة من الأمم، ملامح صنعت تأريخاً لا يقوم على وحدة اللغة أو الأرض أو الدم فقط، إنها ملامح أمة تقوم على ركن أصيل واحد وهو وحدة العقيدة والإخلاص لها.

لذلك رغبتْ الرسالة المحمدية أن تجد الفرد المسلم قد تسلح بسلاح العقيدة والعلم والإدراك، وأن يزيد من تهذيب نفسه من أجل أن لا تساوره الشكوك وتتلاعب به الأوهام والريّب في دينه وفي معرفته.

فكان أن طالبته بالعقائدية في دينه في اتجاهاته وفي أفكاره، لماذا؟

لأنها الأساس المتين الذي يبتنى عليه هيكله، ولأنها مفتاح تثقيفه وبوابة مواهبه، من أجل ذلك وجب أن تكون العقيدة واضحة وضوح الشمس وجلية جلاء البدر لا أثر للغموض فيها أبداً.

(٢)

إن الهدف الذي يرمي إليه الإسلام هدف بعيد شديد الأهمية، ألا وهو محاولة دمج الرابط الديني مع الرابط العقلي من أجل عمل مثمر ومنتج...

لقد أراد الله منا الإيمان والاعتقاد بالمعاد وأن لا بد من يوم يجازى فيه المحسن ويعانق العاصي أعماله ليعاقب عليها. قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم: ٣١].

ولكنه في نفس الوقت ترك لنا مجالاً للتساؤل: ماذا بعد الخلق؟

هل تتساوى الخلائق أجمع؟

هل مات الذي مات وسنموت أيضاً، والكل إلى الفناء؟

هل خلقنا لنموت؟ هل خلقنا لنعمل ونجازى؟

ماذا وراء الموت؟ إنه المعاد، فما هو المعاد؟

إنها داسة تحليلية، مقارنة في ضوء المنهج العلمي والكلامي، والروائي، إنها محاولة لإثبات المعاد ورد الشبهات التي دارت حوله.

(٣)

لقد ظل الموت خاطف الكبار والصغار، هادم اللذات والأماني والأحلام وصاحب الصرخة الأخيرة ـ شبحاً رهيباً يطرق أبواب البشر ويسمعهم جرس الإنذار في كل لحظة ودون وقت معين ليل نهار صباح مساء، معلناً عن اقتراب نهاية المطاف السريع السريع جداً في هذه الحياة..

وتبقى كلمة ـ الموت ـ ذلك المجهول الذي أقض مضاجع الفلاسفة والمتكلمين وأرباب العقول حتى أنساهم طعم الراحة والخلود إليها..

لذلك لا بد من إثبات شيء لراحة هذه النفس واطمئنانها في سبيل الوصول بها إلى اليقين بأن هناك حياة أرقى وأكثر شفافية من هذه الحياة.

لذلك كان لا بد من رحلة طويلة تمر بها في حياة هذا الإنسان الذي خلق ليموت أو بالأحرى قد حكم عليه بالإعدام لذلك بدأنا أولاً بـ «مرحلة إثبات الحياة بعد الموت» وفيها أوردنا آراء كوكبه من العلماء الذين لم يعرف الأغلب منهم بإيمانه بالله تعالى مع اشتهارهم بالجدية في المجالات العلمية

ثم ذكرنا مجموعة من الفلاسفة وآرائهم سواء كان هؤلاء الفلاسفة إغريق ورومان ومسلمين.

ثم أننا ذكرنا مجموعة من الأدلة العقلية والمؤيدة للحياة بعد الموت متحفة بأدلة نقلية باعتبارها المرشد للدليل العقلي في تلك القضية.

وفي سبيل ذلك كذلك ذكرنا مجموعة من القصص التاريخية والتي سجلها القرآن الكريم لتكون دليلاً واقعاً، يرفع بقايا الشك الموهوم الذي ظل يداعب مخيلة القارىء.

(٤)

من منهما سيعاد؟ ومن الذي سيخضع لحساب العدل الحكيم يوم القيامة..

ومن سيكون المنعم أو المعذب في جنة الله وناره..؟ الروح أم الجسد أم كلاهما..

جملة من الأسئلة تراود الفكر وتطرق بابه باستمررا باحثة عمن يجيب.

لذلك فقد دارت حول أيهما يعاد مجموعة من الشبهات والجدل كشبهة استحالة عودة المعدوم والمذاهب فيها كمذهب الماديين من الفلاسفة وإنكارهم المعاد أو اختلفوا في كيفية المعاد لذلك فقد عقدنا بحثاً للجوانب العلمية وإثبات عودة الجسد بالطريق العلمي عن طريق بعض النظريات العلمية كالنظرية النسبية لآينشتاين.

كذلك فقد تعرضنا إلى شبهة ابن أبي العوجاء والرد عليها وشبهة الأكل والمأكول وشبهة الزمن والرد عليها كذلك.

(٥)

وبعد مناقشة الشبهات التي دارت حول المعاد والرد عليها ثم بعد ذلك لا بد من أن تتعرض لعالم الوسط بين الدنيا والآخرة ألا وهو عالم البرزخ فلا بد أولاً من تعريفه لغة واصطلاحاً حتى يستطيع أن يصل القارىء إلى تصور عام وشامل حول هذا العالم، ثم أنه كان لا بد من الإجابة التي تؤرق القارىء الكريم مثل البرزخ حياة أمام موت وما هو آراء العلماء في ذلك مع ذكر مذاهبهم.

ثم ماذا يجري هناك وأوضحناها فيما قاله القرآن الكريم عن ذلك وما روته السنة النبوية الشريفة.

ثم أن عذاب القبر هل هو خيال أم حقيقة وإذا عاقبنا الله في القبر على ذنب فكيف سوف يعاقبنا على هذا الذنب مرة ثانية، فإن الإنسان إذا أذنب في الدنيا ذنب فإنه يعاقب لمرة واحدة على ذلك الذنب، فكيف إذا كان الحاكم هو العدل المطلق، إذن ما هو نوعية العذاب في القبر.

ثم لماذا البرزخ هذا العالم المخيف ولماذا هذا التأخير فإذا حاسبنا الله لماذا لا نعطى الجزاء سواء كان هذا الجزاء الجنة أو النار.

(٦)

ثم كان لا بد لنا من أن نستكمل دورة هذا الإنسان من ولادته إلى حين بعثه في ذلك اليوم العسير والذي بينه القرآن الكريم أن الناس يبعثون حفاة عراة كل قد شغله حالة ذهول وسكون ولا أحد يتكلم إلا من أذن له الرحمن وفي سبيل اطمئنان الفرد المسلم في ذلك اليوم وأنه هناك شفاعة تستقبله إذا اتقى الله في أعماله تلك الحياة الأكثر شفافية ورومانسية، وفي سبيل إيصال

القارىء إلى حقيقة ذلك اليوم اعتمدنا الترهيب والترغيب في سبيل إيصال الحقيقة له عن طريق القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة.

لذلك تعرضنا إلى ملامح وأهوال يوم القيامة ثم تعرضنا إلى الصراط ثم العقبة فالشفاعة وممن تقع منه الشفاعة ومتى تقع الشفاعة مع نقل مجموعة الأحاديث النبوية الشريفة عن الشفاعة ثم في سبيل اطمئنان النفس تعرضنا إلى ملامح النعيم الخالد وماذا سوف يرى الفرد المسلم هناك من نعيم ثم مناقشة موضوع المبالغات في الثواب والعقاب.

وأخيراً وليس آخراً لا يدلي من أن أقدم شكري الخالص إلى شخصية تعمل في الظل وقد تخلت عن الأنافي عملها طالبةً رضا الله ونبيه وأهل بيته من خلال نشر تراث أهل البيت عليهم السلام، وحث الناس في الرجوع إلى ساحة قدس الله سبحانه وتعالى. من خلال القيام بتكفل نشر الكثير من الكتب التي تحث الناس في التفكر في آخرتها.

فجزيل احترامي وتقديري إلى الحاج أحمد الخرسا صاحب مؤسسة المحجة البيضاء سائلاً المولى أن يتقبل أعماله وأن يبعد عنها الرياء أنه سميع الدعاء.

وفي النهاية نرجو من الله أن يتقبل منا أعمالنا ولا يجعلها علينا حسرات ونسأله أن يحشرنا مع من نحب وهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار عليهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً».

د. الشيخ شبر الفقيه



الفصل التمهيدي

١ ـ إن لصياغة الفكر الإنساني أهمية قصوى في مجال العلم.

٢ ـ العقيدة هي العنصر الأساس لتنمية الأثر الفكري على الإنسان والمجتمع.

٣ ـ الاعتقاد بالمعاد يوحي بالنفس مفاهيم تبعث فيها الأمل.



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

لو حاولنا يوماً أن نتجوّل داخل بعض متاحف الفن الكثيرة لوجدنا المجهود الرائع الذي بذله الرواد الأول للفن. فنقف مع مجموعة ليست بالقليلة من الناس ممن نجدهم قد أنصتوا وملء عيونهم الإجلال كي يستمعوا لما تحدثهم به اللوحة نفسها عما تعبر عنه. عند ذاك سوف ندرك قسراً أن الفنان هذا ما كان بقدرته أن يضع ما يجول بخاطره، يعبر عن نفسه يصدق عبر خشبة صماء، لو لم يكن قد انتهج في حياته فكرة معينة وأسلوباً مخيراً في الفن والعمل، وأن المستحيل هو أن يكون الإبداع هذا وريشة فنانٍ مشوشٍ الفكر وعديم المنهجية، وقد يصدف أحياناً أن تتجول بين أقفاص إحدى المكاتب لنجد كتابين يتعرضان لموضوع واحد وبأسلوب مماثل، غموضاً في الأول، وسلاسة وشدة وضوح في الثاني.

فنبحث طويلاً عن السبب فنجده، إن الكاتب الثاني امتاز عن رفيقه بمنهجه الموضوع في ذهنه قبل الكتابة وأحاطته التامة بمواد الموضوع الأولية، إضافة إلى تركيزه على أسلوب معين في آرائه واستنتاجاته، فكان أن أثبت جدارته وأحقيته في مجال العمل. إن كل تلك النتائج والمعطيات التي خرجنا بها من خلال تلك الجولة السريعة تعود إلى نزعة خاصة في ذات الإنسان.

وشعور أمين في دخيلته تجبره دائماً وتحثه على التعلق بالحقائق والأفكار ـ بالمعتقدات والمذاهب ـ غايتها من ذلك هو زيادة الطاقات من أجل عقل منتج وثمار طيبة لا حدّ لها.

والذي أود التطرق إليه وتوضيحه من خلال ذكر تلك المشاهدات هو أن آثار العمل تختلف دواماً وزوالاً، قوة وضعفاً بدرجات ومراتب تبعاً لالتزام الفرد ـ أو أن تقول بصورة مبدئية ـ لاتخاذ الفرد لنفسه فكرة من الأفكار قبل الالتزام بها ليسيرُ على نهجها أو دين من الأديان يتدين به.

إذ أن المجالات الفكرية في يومنا هذا أخذت تتسع وتتنوع لاستقبال العديد من الأبحاث والمعروضات الهادفة لخلق مجالات أوسع للعمل الناجح ذي الأثر العميق والمتين في وقت واحد.

كما لا شك ولا ريب في أن الإسلام كان أحد تلك المجالات التي وفرت للبشرية مستقبلاً زاهراً بأحكامه الخالدة، فكان أن آمنّا بأن الاتجاه المعلوم مطلقاً، سوف يرسخ الجوانب الفنية والحية من أنفسنا، وأن الانحلال والحرية المطلقة دون اعتبارها اتجاهاً خاصاً أو مسلكاً يقصد منه الطريقية نحو الهدف. وإنما هو قضية عدم الارتباط بالفكرة، سوف يجعل تلك المجالات الواسعة من الحياة الموصوفة بالتشعب والغموض أو الموسومة غايات مظلمة سوداء لا مجال فيها للرقي والتقدم والعمل الجاد.

وبما أن عصرنا الحاضر يشهد صراعاً مريراً بين مراكز التوجيه الفكري من أجل التقدم بخطوات نحو مجتمع أسمى، كان إحساساً بضرورة التفاهم «والانتفاء للمنهج والفكرة» كبيراً من أجل أن تقوي ونرسخ الجانب الحيوي في أنفسنا ليزداد اندفاعنا وتتضاعف به طاقاتنا في مجال العمل والمجتمع؟

وإذا كنا قد لاحظنا جيداً الأثر الواضح لصياغة الفكر الإنساني في

مجال العمل فيجب علينا ونحن في البدء أن لا نغفل عن عنصر هو الروح بالنسبة للجسد والعمود الفقري لكل فكرة به يزداد قوامها وبه تمتاز فكرة عن أخرى، ألا وهو عنصر العقيدة.

فإنها لغة ما عُقد عليه القلب والضمير وما تديّن به الإنسان وصدقه. ولو سلطنا الأضواء على ما قالته اللغة محاولين بذلك كشف ما هو أعمق من المعنى الظاهر السطحي للعقيدة، لوجدنا جملة من عبارات وألفاظ إن دلت على شيء فإنما تدلّ على أن العقيدة في بدايتها وفي السلم الأول لها في شأن من شؤون العقل من وظائفه إلا أنها وفي مرحلتها الثانية مرآة كاشفة عن مدى الارتباط والتلاحم وخلق الوشائج بين الفرد والفكرة حداً تتسامى فيه الحواجز والنوازع والرغبات الشخصية أو العرفية بين نفس الإنسان والفكرة التي تدين بها.

ولعلنا لا نبعد كثيراً عن صلب الموضوع إذا استعرضنا بعض الوقائع التاريخية التي نعتبرها شاهداً حياً على ظهور أثر العقيدة السريع عند الإنسان...

ولو تصفحنا سجل الرواد الأوائل الذين أسلموا يوم كانت مكة وثنية بكل ما فيها لوجدنا الجل منهم إن لم يكن الكل قد رسموا صوراً من البطولة يعجز العلم عن التعبير عنها.

ذلك لأن الإسلام لم يكن يوماً عندهم مجرد تنفس أو فكرة عَلِقت بأذهانهم بل أصبحت مبادئه مادة في أنفسهم.

عقيدة كانت هي القوام في الذات عندهم.

فها هو الحباب بن عبدالله بن أبي... يقف عندما عاد ركب المسلمين إلى المدينة من غزوة لبني المصطلق ممتشقاً سيفه ليضرب به ناقة أبيه (عبدالله

ابن أبي)... الذي كان من أشد الناس حقداً وكرهاً للمسلمين. وقد كان يُعدُّ من سادات الخزرج، أمّرته على نفسها ونصبته مَليكاً، تداعى سلطانه تحت أقدام فتية ما غرتهم قريش بملكها ولا حجب السلطان شمس الإسلام عن أعينهم.

فقد قام عبدالله بن أبي بمحاولة إيقاد نار الفتنة يومها بين جيش الرسالة من الأنصار والمهاجرين رافعاً صوته - «والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل -».

وهنا يقف الابن ليجسد لنا مبادىء العقيدة الإسلامية في وجه أبيه مجيباً له أما والله لسوف تعرف العزة ألك أم لرسول الله....؟

لننظر إلى الإيمان بالفكرة أي مبلغ وصل بصاحبه - الابن - وهو يردد تلك الكلمات وعلى سماع مَنْ...؟ - على أبيه! سيد الخزرج! وحامي حماها.

ويكملها بقوله = «والله لا يوديك سقف إلا بإذن من رسول الله»..

«يا للخزي ابني يمنعني»...؟! كلمات يرددها الأب بينه وبين نفسه...

لم يكن ولده - إنما العقيدة والإيمان اللذان بلغ الغليان منهما مبلغاً عظيماً عند ولده، وينتهي الموقف كما هو معلوم بالإذن من رسول الإنسانية والرحمة للحباب أن يترك أباه يأوي لبيته سالماً.

وما أن يطلع الحباب على رسول الله ﷺ حتى ليستقبله بابتسامة تعلو وجهه الشريف وهو يردد...

«وفق الله الحباب لقد وقف من الإسلام موقف تتجلى فيه صدق العقيدة والإيمان...

جزاه الله عن الإسلام خيراً...».

ويعجز القلم عن أن يسطر تلك الأمجاد التي سجلها التأريخ الإسلامي

لنا بأحرف من نور وأن ما فعله الحباب ليس هو بالشيء الغريب فيما رافق دعوة النبي محمد ﷺ .

فبان مواقف «بلال الحبشي» ذلك الحر الأسود الذي لا يفقه من دنياه سوى كلمة «نعم» التي ضرب بها أروع أمثلة التحمل والصبر على الأذى من أجل فكرة اعتقد بها وكان شعارها كلمة:

ـ «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ـ.

ولعل سائلاً يسأل... إذا كان الارتباط بين العقيدة والفكرة كما قلتم. له ذلك الأثر الواضح. إذاً لماذا نجد ونحن نتصفح التأريخ فكرة مستمرة يكتب لها النجاح وتكون سرمدية يؤمن بها جيل بعد جيل. وأخرى ما أن تولد وترى النور حتى تبدأ بالتعثر في خطواتها التي قد تصبح في النهاية كلمة في سجل الماضي فحسب مع أن قياديّ ومسيّري كل من الفكرتين كان لهم اعتقاد راسخ بما رسموه وخططوا له...

أقول... ليس كافياً أن يكون الإنسان مؤمناً أو معتقداً كي يكتب للفكرة النجاح والاستمرارية.

صحيح أن للعقيدة دوراً كبيراً كما أسلفنا. لكن سلامة الفكرة وأهدافها التي ترمي إليها هي التي توسم بأنها المبدأ الصالح الذي يرسم للأمة اتجاهاتها ويضع لها مثلها في الحياة. هو الكفيل باستمرارية الفكرة ونجاحها.

وفي حالة العدم سوف تكفر أمة آمنت يوماً بمبدأ عرفته فعلمت أن لا مجال له في حياتها...

وفي نهاية موضوع طال الكلام فيه نودّ أن نلحظ ما أراده الإسلام المحمدي من الفرد المسلم وما طالبته به.

فقد رغَّبَ الإسلام في أن يجسد في الفرد المسلم الملامح الفكرية

الواضحة. ملامح لا تجدها في أمة من الأمم. ملامح صنعت تاريخاً لا يقوم على وحدة اللغة والأرض والدم. إنها ملامح أمة تقوم على ركن أصيل واحد وهو وحدة العقيدة والإخلاص لها...

لقد رغّبت الرسالة الإسلامية أن تجد الفرد المسلم قد تسلح بسلاح العلم والإدراك وأن يزيد من تهذيب نفسه. من أجل أن لا تساوره الشكوك، وتتلاعب به الأوهام والريب في دينه ومعرفته. فكان أن طالبته بالعقائدية في دينه وفي اتجاهاته في أفكاره، لماذا؟

لأنها الأساس المتين الذي يبتنى عليه هيكله، ولأنها مفتاح تثقيفه وبوابة مواهبه...

من أجل ذلك وجب أن تكون العقيدة واضحة وضوح الشمس وجلية جلاء البدر لا أثر للغموض فيها أبداً...

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

لقد سبق أن أوضحنا في بعض كلماتنا عن العقيدة أنها شأنٌ من شؤون العقل، ولهذا وجدنا الإسلام يطالبنا بالعقائدية في أعمالنا، لأن الهدف الذي يرمي إليه الإسلام هدف شديد الأهمية، إلا وهو محاولة دمج الرابط الديني مع الرابط العقلي من أجل عمل مثمر ومنتج...

لقد أراد الله سبحانه وتعالى منا الإيمان والاعتقاد بالمعاد وأن لا بد من وجود يوم يجازى فيه المحسن ويعانق العاصي أعماله ليعاقب عليها قال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣١.

ولكنه وفي نفس الوقت ترك لنا مجالاً للتساؤل. . .

- ماذا بعد الخلق؟

- هل يتساوى الخلائق أجمع؟

- هل مات الذي مات وسنموت أيضاً، والكل إلى الفناء؟

- هل خلقنا لنموت؟

- أم خلقنا لنعمل ونجازى؟

جاءنا الجواب من العقل أيضاً، إن الله عادل حكيم ليس بظالم لا يفعل القبيح ولا يتأخر عن واجب به، يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه. إذاً لا مفرّ من أن ننظر من وراء الموت أمراً يكون البداية لا النهاية، البداية لاستيفاء المظالم، والبداية لأن تأخذ العدالة دورها ومجراها والبداية لكل نهاية. . .

إذا ما تحقق الإنسان من ذلك فسوف يجزم بأن ريح الموت هذه الموت لا تأخذ شيئاً من حياته ومن نفسه بل تزيدها شعلة وقوة وضياءاً يخطفها زهرة ذابلة من هنا كيما تضعها في جنة أكثر رونقاً وبهاءاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1].

عند ذاك سوف تكون الحياة السامية بكل مباهجها المشروعة غاية سامية متطورة لا حدود لها ولا لتطورها وارتقائها، ويكفي إنها وسيلة الموت عنده. .

كيف لا تكون كذلك وهي التي أعطته الأمل وأضاءت له الدرب بأن فعله سوف لن يكون هباءاً، فإن العادل يرى وينظر ويسجل. . .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[1].

متلخص مما ذكرنا

لقد مر القلمْ من خلال هذا الفصل بمراحل ثلاثة:

الأولى منها، أوضحنا فيها نتائج وآثار الترابط الفكري على ساحات العمل والمجتمع، إذ أن الأفكار ما هي إلا أدوات تحاول ا لكائنات البشرية بواسطتها أن تنجز ما تصبوا إليه من غايات...

وعليه فالحكم عليها يكون بملاحظة مدى كفايتها في خدمة هذه الغايات...

وهذا المذهب هو ما يسمى «بالمذهب البرجماتي الفلسفي»[2].

الثاني من تلك المراحل.. كنا قد أوضحنا عبر أمثلة ووقائع تاريخية الأثر الواضح على نشوء العقائدية في الفكر.

الثالث من تلك المراحل، كان في سبيل إيضاح أن المعاد إن هو إلا فكرة من الأفكار مذهب من المذاهب ينشىء من الالتزام والاعتقاد الصادق به نتائج واضحة لا ريب فيها في حياتنا العملية...

وإن الإسلام يوم أمرنا بالتصديق به لم يكن غرضه من ذلك اختيار مدى امتثالنا لأوامره ونواهيه سبحانه وتعالى... بل أراد من الاعتقاد بالمعاد أن نغذي النفس الإنسانية بمفاهيم تشرق في النفس وتبعث فيها الأمل من أجل حياة أفضل ومجتمع يعمل وهو أمن في أن حقه السليب لن يذهب هباءاً فإن يوم الحساب آتٍ لا ريب...

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٤٠٩.



الفصل الأول

المبحث الأول:

«مرحلة إثبات الحياة بعد الموت»

المبحث الثاني:

«المعاد فكرة لا غبار عليها»



المبحث الأول:

مرحلة إثبات الحياة بعد الموت

... لقد ظل الموت خاطف الكبار والصغار، هادم اللذات والأماني والأحلام صاحب الصرخة الأخيرة ـ شبحاً رهيباً يطرق أبواب البشر ويسمعهم جرس الإنذار في كل لحظة ودون وقت معين ليل نهار، صباح، مساء، معلناً عن اقتراب نهاية المطاف السريع والسريع جداً في هذه الحياة...

وتبقى كلمة ـ الموت ـ ذلك المجهول الذي أقض مضاجع الفلاسفة والمتكلمين وأرباب العقول حتى أنساهم طعم الراحة والخلود إليها... ويبقى ـ الإنسان ـ ذلك الكائن العجيب حائراً ـ فقد جُبلت نفسه بطبيعتها على أن لا تنام ليلتها إلا إذا أحست وشعرت بأن الصباح إن لم يكن بأحسن مما كـان عليـه اليوم فهو كمثله دون أن تسمح للمجهول أن يترك شيئاً من بقاياه فيها، فكيـف رضينا أن نخطو للموت خطى سريعة لا وقفة فيها أبداً ونحن نجهل بما بعده...

وما بال أنفسنا سمحت بأن تقترب من محطة القطار دون أن نحيطها علماً بخط سيره ونقطة وصوله...

وتبقى الحيرة ترسم خطوطها السوداء فوق وجوه البشر فهم بين مثبت وبين منكر ضلت عنهم فكرة المعاد...

ومن أجل ذلك فضلت أن أتقدم نحو إثبات الفكرة، بخطوات متروية متدرجة. فجعلت البداية وكمرحلة أولى لمن أقرَّ واعترف بالمعاد مبدئياً وللمرحلة الأولى باستمرارية الإنسان بعد موته وأنه صائر إلى عالم أرقى... ووضعت المثل القائل «من فمك أَدينك» نصب عيني فكان اللقاء مع كوكبه من العلماء الذين لم يعرف الأغلب منهم بإيمانه بالله سبحانهوتعالى واغتناقه الإسلام، مع اشتهارهم بالجدية في المجالات العلمية...

وها نحن الآن مع مقتطفات من اعترافاتهم المبدئية هذه.

١ ـ عندما وقف المخترع الكبير ـ أديسون ـ في جنازة الرئيس هاردنج «Hardig» أعلن «إني أبحث عن الحقيقة» وقد تقدمت في مضمارها تقدماً كبيراً...

خصوصاً فيما يتعلق بالعالم الآخر، والحياة بعد الموت، وإني أقرّ بأنه لا بدّ من أن تبقى الروح وتحيا بعدَ انفصالها عن الجسد[1].

٢ ـ انتهت الدكتورة ـ «لويزا راين» «Louisa-Raine» ـ التي حصلت على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة شيكاغو بعد بحوث دامت عشرة أعوام إلى وضع مؤلف عنوانه: «قنوات العقل المخبوءة» وفيه تصل إلى التسليم بصحة حياة الإنسان بعد الموت كحقيقة علمية مقررة[2].

٣ ـ يُعدُّ الباحث «جوزيا أولدفيلد «Josiah-Oldfield» من أحد أكابر بحاثة الروح وهو صاحب عدة مؤلفات منها «لغز البلاد» و «لغز الموت».

أعتقد هذا العالم أن مخاوف الإنسان من الموت تقوم على الإيمان بخرافات قديمة العهد وعلى ذعر من المجهول ليس له ما يبرره وأنه سوف

---

(١) لا يخفى أن الفصل كله إنما عقد لإيضاح والوصول إلى هذه المرحلة فحسب.
(٢) الإنسان روح لا جسد، ج١، ص ٢٦٩.

يقدم بعد الموت على حياة جديدة يعيش فيها بسلام وسعادة وأننا سنكون بين يدي الخالق المحبوب[١].

٤ ـ كتب الدكتور «ـ تليارد» في جريدة ـ نايت شر ـ «Nature» مقالاً اختتمه بالعبارة التالية:

«رأيي الأخير هو أن «والتر ستنسون» الذي توفي سنة ١٩١٢ قد أثبت بطريقة علمية إثباتاً تاماً، دعواه أن شخصيته باقية بعد موته الجسماني»[٢].

٥ ـ أكد وليام براون ـ «willium-Brown» ـ الأستاذ بجامعة أكسفورد أن الميت هو الجسد فقط[٣].

٦ ـ أكد أحد أكابر علماء المادة البريطانيين ومدير معهد جامعة برمنجهام وعضو الجمعية الملكية لتقدم العلوم، والذي يعد من أعظم علماء الفيزياء في القرن العشرين «السير أوليفر لودج «Oliver Lodge» في عدة أماكن وبعدة مقالات شهادته الصريحة بالحياة بعد الموت وببقاء الشخصية الإنسانية[٤].

فقد صرح في أحد محاضراته (ليس من العقل أن يقال إن النفس تضمحل إذا تلف الجسد بل ستظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا القصيرة على هذه الأرض)[٥].

ويؤكد نفسه في مكان آخر ذلك بقوله: (إني مقتنع بأننا لا نضمحل بعد الموت)[٦].

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الإنسان روح لا جسد، ج١، ص ٣٩٠.
(٣) عدد الجريدة ٢٨ اغسطس ١٩٢٨.
(٤) الإنسان روح لا جسد، ح١.
(٥) المصدر نفسه، ح١، ص ٣٣٦.
(٦) مجلة المقتطف، عدد (٦)، الصادر في فبراير من عام ١٩١٥.

وفي محاضرة له في سنة ١٩١٧ يقول: «إني كما تعلمون انضممت بصفة نهائية إلى جانب المقتنعين بدوام الوجود، وبقاء الشخصية الإنسانية. . . ».

وفي محاضرة أخرى في سبتمبر سنة ١٩٢٨ بقاعة ألبرت بلندن نجده يقرر أيضاً إن التساؤل عما إذا كنا سنحيا بعد الموت أم لا تساؤل علمي بمقدورنا أن نجيب عليه وأعتقد أنه يمكنني أن أجيب عنه جواباً نهائياً بالإيجاب دون أن ينتابني تأنيب في هذا الصدد[١].

وفي محاضرة في الإذاعة البريطانية عام ١٩٣٤ يؤكد أولڤر لودج هذا الموضوع ويختتم محاضراته بقوله، دعوني أنتهز هذه الفرصة الفريدة كي ما أتحدث إلى هؤلاء الذين يجدون في الحياة قسوة قد تصل بهم إلى مرحلة اليأس فيتساءلون في عجب هل تستحق الحياة كل هذا الفناء؟

٧ ـ عالم النفس فردريك و. هـ. مايرز «Frederic w.h. myers» ١٨٤٣ ـ ١٩٠١ الذي كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة كمبريدج.

ألّف كتاباً أسماه «الشخصية الإنسانية وبقاءها بعد موت الجسد» وفيه يعالج ما يبرز العقل الباطن للإنسان الذي يمثل الذات الحقيقية له ويثبت الحياة بعد الموت لهذه الذات من هذه الزاوية[٢].

٨ ـ ومن الفلاسفة «سقراط» كان يؤمن بخلود النفس، وعندما حكم عليه بالموت صرّح لاثنين من أتباعه هما «سيماس ـ Simias وسيبس Cebes» ـ قائلاً: «نعم إني أعترف أنه لولا اعتقادي أني سوف أؤول صوب آلهة أخرى حليمة رحيمة، ثم بعد ذلك نحو رجال ما تواهم أفضل من

---

(١) مجلة المقتطف، عدد (٦) الصادر في فبراير من عام ١٩١٥.
(٢) الإنسان روح لا جسد، ح١، ص ٣٤١.

رجال هذه الحياة الدنيا من الخطأ أن لا تثور نفسي وإني لمغتبط بهذا كل الاغتباط»[1].

وهذه الواقعة رواها أفلاطون عن سقراط في محاورة فيدون «Phedon».

وأخذ نفسه عندما قرب احتضاره يبين لأتباعه كيف أن للأشياء عوداً على بدء فالحياة تتبعها الموت والموت تتبعه الحياة.

يؤكد الفيلسوف اليوناني «فيثاغورس»: «إن النفس إذا كانت طاهرة زكية من كل دنس، صارت بعدَ الموت إلى العالم الأعلى وسكتن في سكنها الذي يلائمها»[2].

٩ ـ تولى أفلاطون بعد سقراط إضافة الأدلة الفلسفية الكثيرة لخلود النفس وكان يقول: «إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق وإنها لا تفنى بفناء البدن»[3].

يؤكد الفيلسوف اليوناني «هيرقل» الذي عاش قبل الميلاد فكرة العقاب والثواب فيقول: «... تبقى النفوس الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذي أحاطت به النار إلى الأبد في عقاب السرمد. أما النفوس الشريفة الخالصة الطيبة فتصعد إلى العالم الذي تمحض نوراً وبهاءاً....»[4].

١٠ ـ «جوته» الفيلسوف الألماني (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) يقول...: «إن الاجتهاد المحتدم في نفسي هو برهاني على الديمومة. فإذا كنت قد عملت

---

(١) مطول الإنسان روح لا جسد، ح١، ص ٣٤٢.
(٢) الصراع في الوجود، ص ٦٩.
(٣) مطول الإنسان روح لا جسد، ح١، ص ١١٧.
(٤) الله والإنسان، ص ٢٩٠.

في حياتي كلها ولم أسترح فمن حقي على الطبيعة أن تعطيني وجوداً عندما تنحل قواي وتنوء بحمل نفسي»[1].

١١ ـ ومن الفلاسفة المسلمين كان ابن سينا قد أقر بالعود بعد الاضمحلال فيقول: «إن المعاد ليس عوداً إلى الحياة الأولى التي كان عليها الإنسان في الحياة الدنيا بل هو عود إلى عالم الروح التي كانت فيه الأرواح قبل أن تنقل الأجساد».

١٢ ـ المؤرخ والعالم الكبير (ول ديورايت) يقول: «. . . إن تناقض الحياة وانتشار المشكلات في هذه الحياة لا تدركها العقول ولا يستطيع الإجابة عنها إلا إذا آمن الإنسان بحياة ما بعدَ الموت تدفع فيها كل المظالم وتصحح فيها كل الأخطاء ويعاقب فيها المسيء ويثاب المحسن أجزل الثواب»[2].

وحينئذٍ فهل ثمة عزاء يمكن أن يفرق ويبدد ظلام الحزن مثل الإقناع القطعي والحتمي بأن الموت ما هو إلا عملية انتقال سهلة إلى عالم أرقى وأكثر شفافية.

---

(١) النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، ط٣، ص ٧٥ و٧٦.

(٢) الله والإنسان، ص ٢٤٠.

المبحث الثاني:

المعاد، فكرة لا غبار عليها

«. . . مرحلة جديدة نحو عالم الآخرة تشق من خلالها عبابَ بحر مليء بالأدلة التي تجعل من قضية المعاد حديثاً بيناً واضحاً لا غبار عليه. وإن ما قيل أو يقال في شأن إبطال الفكرة (المعاد) ما هي إلا محاولات لحجب ضوء النهار بغربال. بعد أن مهدنا له بطريق بما تقدم في الفصل السابق، من أجل الكشف عن تلك الأدلة، كان لا بد من شطره إلى شطرين واتجاهين:

الاتجاه الأول: «عالم الثبوت والإمكان» المتضمن للدليل العقلي والمطعم بين الحين والآخر بتحفة من الأدلة النقلية»[1] باعتبارها «المرشد للدليل العقلي في تلك القضية».

الاتجاه الثاني: «عالم الإثبات والوقوع» والذي يتضمن قصصاً تاريخية سجلها القرآن الكريم لتكون دليلاً دافعاً يرفع بقايا الشك والتساؤل الموهوم الذي ظل يداعبَ مخيلة القارىء.

---

(١) الكافي، ج٣، ص ٢٥٨.

الاتجاه الأول...

عالم الثبوت والإمكان

لقد لوحظ أن الآصرة الرابطة بين حتمية المعاد وحقيقة الوجود كبيرة جداً، أو فلنقل وجد تلازم حقيقي بين معرفة الثانية «الوجود» وثبوت الأولى «المعاد»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

ولهذا جعلت من اعتبار الفرد وتسليمه بوجوده طريقاً معبراً لوجوب اعتقاده لعودته.

فعن أبي حمزة... قال سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: **«عجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة، والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى»**[3].

فإذا استطعنا أن نثبت النشأة الأولى أي الوجود الأول لزم علينا من جراء ذلك الاعتراف عقلياً ومنطقياً بالنشأة الثانية حذراً من لزوم العبث والظلم والإيذاء الذي يستحيل صدوره من الله سبحانه وتعالى.

لقد وجد الإنسان وقدر له أن يعيش زمناً معيناً في دنياه هذه كما قدر له أن يتلقى لطماتها حيناً آخر دون رحمة أو إشفاق. نعم هوذا قسطه من هذه الدنيا لا محيص ولا مفر لنا منه، فأخذه دون أن يكون له سبيل للاستغناء عنه.

---

(١) قصة الحضارة ج٢، ص ٣٩٤.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٦٢.
(٣) الواقعة ٦٢، الميزان قال في تفسير الآية: «إن المراد بالنشأة الأولى».

فهو إلى المرض يخطو ساعة وإلى الفقر ساعة أخرى متنعماً غيره بماله وجاره بشقائه، وزميله الحقود برزئه، فالحياة كلها محن ورزايا.

ذاك سلطان وأمير، وهذا عند فقير، ذاك ظالم وهذا مظلوم، ذاك منتصر وهذا مهزوم، ذاك منتفع وهذا مستغل، ذاك غني وهذا فقير جائع، ذاك صحيح وهذا سقيم، ذاك شيخ هرم متوجع ذليل يود لو لم يكن أبداً. وهذا كبيرٌ عزيز بين قومه بتسلط وظلم يأمل أن تستمر له سطوته فيزداد ظلماً... وبعد كل هذا عذاب، وشقاء، لا مساواة عاشتها الإنسانية في حياتها.

أمن العدل والحكم أن تكون الخاتمة سوية هي «الموت».

كلا... فحتى في الموت تفاوت لا مساواة فيه، وهل يقرن من تخرج روحه وهو على فراش الريش بين نسائه وغلمانه وبين أقاربه وأحبائه دون أن يشعر بأي وجع أو ألم، بمن يموت بحرق أو هدم أو جوع أو بطش ظالم...

إذن فأين يتساوى المخلوق أجمع؟ وهل كان الوجود بأمر الحكيم جانّ حكم بمثل هذه الشناعة.

كلا وألف كلا، فما كان وما يكون الوجود يوماً قائماً إلا على الأخذ والعطاء، وبقدر الأخذ يكون العطاء، فلا يتساوى أهل الفلاح والفساد يوماً أبداً..

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[1].

---

(١) الميزان، ح١٧، ص ١٩٧. سورة ص، آية: ٢٨.
قال صاحب الميزان في تفسير هذه الآية أن «الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم المتقون»، هم الكاملون من الإنسان والمفسدون في الأرض بفساد اعتقادهم وعملهم وهم الفجار هم الناقصون الخاسرون في إنسانيتهم حقيقة، ومقتضى هذا الكمال والنقص أن يكون بإزاء الكمال حياة سعيدة وعيش طيب وبإزاء خلافه خلاف ذلك.
ومن المعلوم أن هذه الحياة الدنيا التي يشتركان فيها تحت سيطرة الأسباب والعوامل المادية ونسبتها إلى الكامل والناقص والمؤمن والكافر على السواء فمن أجاد العمل =

وحينذاك لا مفرّ ولا مناص من القول: «إن. . . للإنسان حياتين، الحياة الدنيا والحياة الآخرة لتحقيق المساواة الموعود بها البشر من قبل العدل الحكيم. . جلّت قدرته وحكمته. . .».

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾[1].

«والواقع، إنه من الممكن اعتبار أن المنكرين لهذه الملازمة[2] قد وجدوا من قضية الثواب والعقاب أحد المواضيع المعيقة لها، حيث أنكروا وجوب حصولها إطلاقاً. وبعدها فلا موجب للحشر الجديد لتحقيق ما سمي بالمساواة بين بني الإنسان أجمع. . .».

وفي الحقيقة أن: «هؤلاء إنما خيل إلى حواسهم القاصرة أن الموت نهايتهم، فإذا هو في الحقيقة بداية الحياة لهم».

قال رسول الله ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[3].

أما معرفتهم بالجزاء والعقاب فهو في الحقيقة يخفف الكثير من رهبة الموت عند الإنسان، وهو لا يخشى الموت، وإذا ما تحقق بنفسه أن ريح

= ووافقته الأسباب المادية فاز بطيب العيش ومن كان على خلاف ذلك لزمه الشقاء وضنك المعيشة.
فلو كانت الحياة مقصورة على هذه الحياة الدنيوية التي نسبتها إلى الفريقين على السواء ولم تكن هناك حياة تختص بكل منهما وتناسب حاله كان ذلك منافياً للعناية الإلهية بإيصال كل ذي حق حقه وإعطاء المقتضيات ما تقتضيه.
وإن شئت فقل: تسوية بين الفريقين وإلغاء ما يقتضيه صلاح هذا وفساد ذلك خلاف عدله تعالى. الميزان ج١٧، ص ١٩٧.

(١) سورة يونس، الآية: ٤.
(٢) بين وجودنا في هذه الدنيا ووجوب المعاد قيام القيامات.
(٣) الكافي، ج٢، ص ٢٨٨.

الموت هـذه لا تطفـي شيئـاً. هذا بل سوف تزيد شعلة النفس قوة وضياءاً، ونخطف الزهرة الذابلة من هنا كيما نضعها في جنة أكثر رونقاً وبهاءاً، فسوف تكون الحياة السامية بكـل مباهجها المشروعة غاية نامية متطورة لا حدود لتطورها وارتقائها، ويكفي إنها وسيلة الموت عنده..

وبـانعطـافـة صغيـرة نحو السنة النبوية الشريفة ستكون الدليل المرشد للحكم العقلي...

فعـن سـديـر الصيرفي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «جعلت فداك يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟

قـال عليه السلام: ألا والله إنه إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك...».

فيقــول لــه ملك المـوت، يـا ولـيَّ الله لا تجـزع، فـوالـذي بـعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبياً لأنا أبر بك وأشفق عليك من والدٍ رحيم لو حظرك...

وعن الحسن بن علي عليه السلام عندما سئل عند الموت مـا هـو؟ قال: ما الموت، إلا نظرة يعبر بكم عن اليؤس والضراء إلى الجنـان الواسعة والنعيم الدائم...

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ما الموت؟

فقـال: «للمـؤمـن كنزع ثياب وسخة قحلّة وفك قيود وانحلال ثقيلة، ولاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائحاً».

وعن صفوان، عن جاورود قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إذا بلغت نفس أحدكم هذه وأومأ بيده إلى حلقه قرت عينه».

وبعد أن وجدنا مـن السنـة النبويـة وطاقة العقل البشري ما يبرر دعوانا بـالمـلازمـة بيـن النشـأتيـن «الـوجـود الأول في عالم الدنيا، والحشر ليوم

الحساب» فقد أصبح الطريق نحو الاعتقاد بالمعاد سهلاً ومعبداً. . . ولكن ليس قبل أن نشير ولو بطرف خفي إلى حقيقة الوجود، وأنه هل يمكن أن يقع «الوجود» جواباً لسؤال عما هو. . . أم لا. . . ؟

فقد وعدنا القارىء بإثبات وجوده له[1].

أقول لقد اختلف العلماء من الحكماء والمتكلمين في إيجاد تفسير للوجود اختلافاً كبيراً، ولعل ذلك ناشىء من نفس المتعرَّف «الوجود» لشدة وضوحه وعدم الغموض فيه. .

وقد ألزم من تعريفهم له، الدورُ والتسلسل الواضح البطلان والبين والفساد[2].

ولا شك في أن العلم بالوجود هو من المعلومات الضرورية التي لا معنى أعم منها.

وإذا كان الوجود من أوضح الواضحات وأقلها قيوداً كانت من البديهيات الواضحة ومن مقدمات البرهان.

وإذا قلنا باستحالة تعريفه والبرهنة عليه كان الإحساس به وإدراكه، إدراكاً إشراقياً، حيث لا استنباط ولا تحري بل وجداني محله النفس، فكل موجودٍ يحس بوجوده بالبداهة، إن كل فرد يحس ويدرك أنه موجود بالبداهة.

---

(١) فقد بينا في الصفحة الأولى من هذا البحث أننا «إن استطعنا أن نثبت النشأة الأولى أي الوجود الأول عزم علينا جواز الاعتراف بالمعاد».

(٢) لقد قام بعض العلماء بتعريف الوجود بأنه «الثابت العين» ولكنه غفل عن أن الثابت ما هو؟ أليس هو الموجود عنه، وإذا كان كذلك كان من الدور البين الواضح، ومن تفسير الشيء بنفسه.
وقالوا عن الوجود أنه: «الذي يمكن أن يخبر عنه» واعترض عليه بأن الوجود والذي ما هما إلا شيء واحد ـ فلو اعتمدنا على الوجود بالذي لكان من باب تعلق الشيء على نفسه، والدور واضح فيه لأنه إنما أراد إيضاح الوجود فقال هو الذي. . .

الاتجاه الثاني...

عالم الثبوت والوقوع

. . . لقد وعدنا القارىء الكريم بأن يكون هذا القسم متمحضاً فيما قصه القرآن الكريم علينا لأحداث «حشر وإحياء بعد موت طويل»، والتي اعتبرناها من المباحث المهمة عن حقيقة المعاد. ولكن بعالم أكثر رقياً من عالــم الثبـوت، ألا هو عالم الإثبات والوقوع. . . «عن حقيقة المعاد» الذي يرفع كل ما بقي من بذور الشك والتساؤل عن حقيقة المعاد ولنضرب مثلاً لذلك[1]:

لو أن قارىء أخذ يتصفح الأدلة العقلية الموضوعة والمنصوبة من أجل تأكيد حقيقة عدم خضوع الإنسان لقانون الجاذبية وهو على سطح القمر مثلاً، فقد يجدُ معها مجالاً للشك في ذهنه[2] ولكنه سرعان ما يجزم ويقطع بذلك الحكم بعد أن يخبر ممن لا يحتمل صدور الكذب منه أنه حطّ على سطح القمر من دون شعور بالجاذبية أبداً. . .[3].

ومن هذا المنطلق نقول: إن جميع ما تقدم من الأدلة المثبتة لحقيقة المعاد كان في بوتقة الإمكان فقط. ولذا قد يناقش العقل وقوعه وإن سلم بإمكانه. . . ولهذا سيكون ما سنذكره من الآيات القرآنية دليلاً وشاهداً على بعث حقيقي ومعاد واقعي وعندها لا مفر من التسليم به والخضوع لفكرة المعاد. . .

---

(١) مثال للفرق بين أدلة عالم الثبوت وعالم الإثبات.
(٢) دليل ثبوتي.
(٣) دليل إثباتي.

القصة الأولى..

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ ﴾[1].

إن قليلاً من التدبر في هذه الآية الكريمة وسبر أغوار القصة المذكورة يجعلنا نخرج بالصورة الواضحة عن عالم القيامة والنشر.

لقد اختلف الرواة في الذي مرّ على القرية، هل هو عزير أو أرميا أو الخضرع ـ كما قد اختلفوا في مكان القرية المذكورة. فمنهم من ذكر أنها بيت المقدس، وقيل أنها الأرض المقدسة كما قد روي أنها القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت[2].

وكيف كان فقد خرج عليه السلام مع حماره بعيداً عن قريته يحمل معه زاداً يشتمل على عصير وتين وعنب فكان أن مرّ في سيره على القرية المعهودة فاستوقفه أمرٌ فيها؟ كان السبب في تساؤله ألا وهو السكون الشامل ونازلة الموت التي عمت أهلها. وقد ذكر صاحب الميزان: «إن عظام الموتى كانت بمرأى ومنظر منه» ـ فأشار إليهم وقال: «أنى يحي هذه الله»[3] فبعد أن أماتهم الله سبحانه وتعالى وجعل أجسادهم طعماً للكواسر من الحيوانات، أنى لله أن يعيد الأجزاء لصورتها الأولى.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١ ـ ٢، ص ٣٧٠.

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

تساؤل لا ينمّ بالضرورة عن إنكار وارتياب، إنما أحبَّ أن يريه الله سبحانه وتعالى إحياء الموتى مشاهدة وبعبارة ثانية أن نفسه عليه السلام كانت تتلهف لمشاهدة الخلق وهو يموت وتبلى عظامه ثم بقدرته تعالى جلّت قدرته يُعاد من جديد ليدخل مرحلة الحساب والعقاب وبعبارة أخرى أنه عليه السلام كان يبحث من العود في عالم الإثبات والوقوع، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، .ليجد نفسه على حالها فكان أن تصور المدة يوماً أو بعض يوم من الرقاد فكان الرد تصحيحاً من الله سبحانه وتعالى. . . «قال بل لبثت مائة عام». . .

وتكشف من هذا التساؤل أنه عليه السلام لم يجد أي تغير في بدنه يوحي له بأنه قد مات وأنه أصبح مثله كمثل أصحاب القرية ومن هنا تتجلى لنا قدرة الباري عزّ وجلّ على الإماتة ثمَّ الإعادة دون تغير أو تبديل.

القصة الثانية...

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

لقد ذكر المفسرون وجوهاً متعددة في سبب سؤال إبراهيم ربه إراءته الأحياء عياناً، أفضلها أنه عليه السلام أحبَّ أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان[2].

كما قد اختلف المفسرون في أن الطير المذكورة أكانت من جنس معين أم أنها مطلقة مختلفة...

وقد روي أنها كانت غراباً وطاوس وديكاً وحمامة.

أما عدد الجبال فقد قيل أنها أربعة، كما ذكر أنها عشرة، فأجابه الله سبحانه وتعالى رداً على سؤاله قائلاً: «فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك» ثم قطعهن واخلط أجزائهن خلطاً دقيقاً ثم اجعل على كل جبل منهن بعضاً. زيادة في التثبت وعدم التعين، ثم ادعهن فإن الله سوف يحييهن، فنظر إبراهيم عليه السلام: «وإذا بالريش يسعى بعضه إلى بعض وكذا العظام واللحم ثم أتيناه مشياً»[3].

روي أن إبراهيم عليه السلام نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكلها سباع البحر ثم يثب سباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعض، فتعجب إبراهيم، فقال: «يا رب أرني كيف تحيي الموتى؟».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٢) مجمع البيان، ج١ ـ ٢، ص ٣٧٠.

(٣) مجمع البيان، ج١ ـ ٢، ص ٣٧٢.

قال: أولم تؤمن؟

قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

يعني حتى أدى هذا كما رأيت الأشياء كلها فأخذ إبراهيم الطاووس والديك والحمام والغراب.

فقال القدير جلّت قدرته فصرهن إليك، أي قطعهن ثم اخلط لحمهن وفرقهن على عشرة جبال...

ثم دعاهن، فقال أحيي بإذن الله، فكانت تجتمع وتتألف لحم كل واحد من عظمه إلى رأسه فطارت إلى إبراهيم، فعند ذلك قال إبراهيم عليه السلام: «إن الله عزيز حكيم»[1].

وكذلك فإن هذه القصة تشير إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة القوى البدنية الباعثة على حب الشهوات والزخارف والحرص وطول الأمل وخسة النفس والمسارعة إلى الهوى الموصوف بها الطيور المزبورة ومزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعن مسرعات متى دعين بداعية العقل والشرع وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان.

بما تقدم أيضاً يمكن الإجابة عن السؤال المطروح في شبهة الآكل والمأكول وبعض الشبه الأخرى التي سنتعرض لها في الفصول المتأخرة إنشاء الله...

---

(١) الميزان، ج١، ص ٣٧١.

القصة الثالثة..

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[1].

آية جديدة ومعجزة أخرى يسطرها القرآن الكريم لتكشف لنا القدرة الإلهية الربانية الهائلة في التحكم بالحياة بعد الموت. ولنجعل من هذه الوقائع جسراً يسلكه المؤمن لينتقل به من عالم الشك والتساؤل إلى عالم الاطمئنان والإيمان العميق. . .

إنهم قوم من اليهود، وقيل هم قوم حزقيل، ثالث خلفاء بني إسرائيل بعد موسى، وهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا كانوا قد خرجوا من ديارهم التي تدعى بـ داو روان قُبُل واسط هرباً من الوباء وخوفاً وذعراً من الطاعون.

وقد تعددت الأقوال في عددهم، فقيل ثلاثة آلاف ثمانية آلاف، عشرة آلاف، بضعة وثلاثين ألفاً، أربعين ألفاً، سبعين ألفاً.

ولكن الله كان من ورائهم ـ (فقال لهم موتوا) وكان القدر المحتوم، ثم قضاء الله الذي لا مردّ له ولو كانوا في بروج مشيّدة، فبقيت أجسادهم عارية وعظامهم متناثرة في العراء ترسم صورة بشعة مخيفة لكل ناضر. . .

فكان أن مر عليهم حزقيل فاستوقفه أمرهم فجعل يتفكر فيهم فأوحى إليه الجليل جلّت قدرته.

يا حزقيل أتريد أن أريك كيف أحي الموتى؟ قال نعم. فأمر الله بذلك،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

فما كان منهم إلا أن قاموا من لحظتهم تلك حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بديارهم ما شاء الله حتى وافقهم منيتهم كل بأجله[1].

القصة الرابعة...

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ۞ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۞ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2].

حدث أن وقعت واقعة عند بني إسرائيل كان بسببها أن أمر الله سبحانه وتعالى بذبح بقرة وذلك عندما قتل رجل منهم قرابة له، ثم أخذه وطرحه على طريف أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطالب بدمه وغايته في ذلك هو دفع الشكوك المحيطة به وزيادة على ذلك ذهبوا إلى نبي الله موسى عليه السلام فقالوا له: «إنك تدعي النبوة وإن لك المعاجز ما لسنا بقادرين عليها، فهل لك أن تخبرنا عن القاتل».

فما كان منه عليه السلام إلا أن أمرهم أن يأتوا ببقرة ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾

---

(١) مجمع البيان، ج١ ـ ٢، ص ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٦٧ ـ ٧١.

فطلبـوهـا بالوهن الذي ذكره لهم نبيهم عليه السلام فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فاشتروها منه ملء جلدها ذهباً.

فأمرهم نبي الله أن يذبحوها «فذبحوها وما كادوا يفعلون» ذبحوها وكانت أنفسهم فكرة العصيان خشية أن يفتضح سرهم بمعرفة القاتل.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

«كذلك يحيي الله الموتى» أي يحييهم في الدنيا والآخرة كما أحيى الميت بملاقاة ميت آخر له، أما في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحي الله الذي كان في الأصلاب والأرحام حياً، وأما في الآخرة فإن الله ينزل بين نفختـي الصـورة بعـدمـا ينفخ النفخة الأولى من دوين[2] السماء من البحر المسجور المملـؤ الـذي قال الله والبحر المسجور وهي منيّ كمني الرجال فيخطر ذلك على الأرض فيلتقي الماء المنيّ مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون[3].

إذ قال الله اضربوا القتيل ببعض البقرة ـ على اختلاف في البعض ـ وقيل أنه ضرب بفخدها فقام القتيل حياً... فسألوه عن قاتله، فأجابهم على ذلك بذكر اسمه ثم عاد ميتاً بعد أن لبى دعوة موسى عليه السلام بأمر من الجليل جلت قـدرتـه. ولكي يعلموا أن الله قادر على إحياء الموتى في أي وقت وفي أي مكان شاء.

أما قوله: وتدارأتم: أي ألقي بعضكم ذنب القتل على بعض وادرأه عن نفسه وذويه.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٧٢ و٧٣.
(٢) دوين: وصف دون ونقيض الفوق.
(٣) تفسير الصافي، ج١، ص ١٠٣.

القصة الخامسة...

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

وهكذا تتكرر الدروس والعبر القرآنية التي احتج بها الرسول ﷺ على المشركين الذين لم يؤمنوا بما بلغ النبي ﷺ من البعث والحساب فكان أن ذكّرهم القرآن الكريم بما حلّ بقوم موسى الذين أنكروا عليه النبوة وسفهوا أقواله زيادة وإيغالاً في الشرك وعبادة الأوثان وعدم الطاعة لله الواحد الأحد. فما كان منهم إلا أن طلبوا منه أن يريهم الله علانية، لكي يؤكد لنا ربك أنك نبيه والمبعوث من قبله لنا من أجل أن نتبعك.

فأجابهم الله سبحانه وتعالى على طلبهم ذلك فأنزل عليهم صاعقة من السماء أحرقتهم فأماتتهم بعذابه عند ذلك. ولم يبق الأمر على ما هو عليه من الكون بل إن الله سبحانه وتعالى جلت حكمته شاء أن يضع الدرس بالشكل البليغ في أذهانهم، فأحياهم وأراهم نفسه بذلك كما طلبوا. ولكن من خلال رؤيتهم لأثاره وقوته بالموت والعذاب ثم بالقدرة على الإحياء.

ثم أن الآية قيدت البعث بالموت لأنه قد يكون من إغماء ونوم، وفيه كذلك دلالة واضحة على جواز الرجعة التي قالت بها الإمامية نقلاً عن أئمتهم.

وفي الختام، هناك مسألة جديرة بأن نقف عندها برهة من الزمن ألا وهي أن القاريء قد يجد في التعبير عن هذه الوقائع الخمسة بـ «دليل الإثبات

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٥٦.

والوقوع» نوعاً من المجازفة والاقتحام دون تفكير. إذ أن عالم الآخرة وساعة البعث لم يكن قد حان موعدها، فكيف يمكن إطلاق كلمة البعث الحقيقي على مثل هذه القصص القرآنية ذلك على أنها وقائع خاصة وقعت في عالم الدنيا، إلا أن الكيفية والقدرة تبقى دون فرق بين الاثنين والدليل على ذلك أن أكثر تلك القصص المذكورة والبعث الحاصل فيها جاء نتيجة بعض الوساوس والرغبة في رؤية ذلك اليوم والناس ينشرون للحساب بعد أن أصبحت أجسادهم قطعاً متناثرة هنا وهناك.

في الحقيقة أن البعث الملحوظ هنا ما هو إلا صورة مشاهدة في مرآة تعكس لنا القدرة الربانية لأحداث يوم القيامة، فأمكننا بذلك أن نتجرأ ونطلق لأحداث القرآن الكريم المذكورة بأنها بعث حقيقي.

الفصل الثاني

القسم الأول

المعاد في المنظور العلمي

القسم الأول:

عالم المادة وضدها تحت المجهر

المبحث الأول:

أ ـ العالم اللامادي

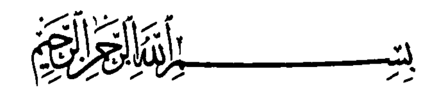
ب ـ عالم الحياة على سطح الكرة الأرضية

جـ ـ عالم الطاقة



القسم الأول

شبهة استحالة عودة المعدوم



هناك بعض المتكلمين ممن أنكروا المعاد أساساً، أو اختلفوا في أوجه المعاد والمباحث المتعلقة به مع تسليمهم بالعود في الجملة وقد أوردوا بعض الإيرادات بصيغة شبه لا حلَّ لها...

لهذا فضلت أن أتقدم بهذه الصفحات التي جُعلت مقدمة لإيضاح وبيان فساد تلك الشبهة... لكن قد يجد القارىء الكريم وللوهلة الأولى أن ما ذكر في هذا الفصل لا علاقة له بما نحن فيه... ولكني أؤكد له أنه سيلحظ في نهاية المطاف أنها كانت معيناً لا يستهان به في سبيل الإجابة عن كل تلك الأوهام والتخرصات...

من المعلوم أن في هذا العالم الذي نعيشه نحن فيه عالمين مختلفين فيما بينهما مرتبطين الواحد بالآخر ارتباطاً وثيقاً أودى بالبعض في الذهاب إلى إنكار وجود أحدهما...

وهذان العالمان هما:

١ ـ **العالم المادي (الحسي).**

٢ ـ العالم اللامادي (لا حسي).

يوجد هذان الوسطان في كل شيء، بل منهما يتركب الشيء دائماً والإنسان بالطبع هو واحد من تلك المركبات التي كان أحد مكوناتها هو الجزء المادي «ألا وهو ذلك الشيء الملحوظ أو الملموس من الإنسان من رأسه حتى قدميه»...

أما الكون الآخر داخل كيان الإنسان، والذي يقال له الجزء اللامادي أو الروحي أو الأساسي والأصلي فيه، فهو الذي عقد هذا الفصل من أجله ومن أجل تبيانه وإيضاحه.

وإعطاء بعض المعلومات الأساس عن الموجودات اللامادية في هذا الكون.

المبحث الأول:

العالم اللامادي

إن العالم أو أن أي جزء من أجزاء العالم هذا لا يخلو من أحد قسمين:

١ ـ عالم الحياة.

٢ ـ عالم عدم الحياة.

إذ هناك ما يوصف بأنه حي، كالإنسان، البذرة، الحيمن المنوي البويضة، وآخر وصف بأنه عديم الحياة كحبة الرمل أو الصخرة الموضوعة على الأرض.

ولكن قد يتساءل البعض...؟ ما الذي وجدتموه في الحيمن أو البويضة أو البذرة مما جعلكم تقولون بحياتها وميزتموها عن الصخرة.

ولكن لا يخفى أنه ليس من شأني، ولم يكن غرضي من هذا التطرق إلى عالم (الحياة ـ وعدمها) هو الإجابة عن مثل هذا التساؤل. إنما أنشد من ذلك الوصول إلى أول جزء أو حالة لا مادية خارجة أو بعيدة عن عالم الإنسان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالكون..

وللوصول إلى النتيجة الصحيحة كان لا بد من البحث والتقصي في الأمور التالية:...

عالم الحياة على سطح الكرة الأرضية

صحيح أنا لو بحثنا عن جميع ألوان وأشكال الحياة «باعتبارها عالماً لا مادي»، لما وجدناها إلا وهي وثيقة الصلة بالمادة، إذ كل لا مادي لا بد من أن يكون مرتبطاً بشكل أو بآخر بصور المادة المتعددة. . .

ولكن هذا لا يمكن أن يؤخذ دليلاً على أن الحياة هي المادة أو أنها تطور عن المادة[١].

وأول شهادة على ما تقدم: «من ارتباط الحياة بالمادة» ما استدل به الفيلسوف «جود»[٢] وهو النظرية القائلة: «إن الأرض كانت وفي زمن من الأزمان كتلة من مادة مصهورة يتعذر أن تنشأ عليها الحياة، فلم تظهر الحياة إلا عندما سادت في الأرض أحوال مادية نادرة الوقوع»[٣].

وقد صرح الفيلسوف نفسه في نفس كتابه بأن لا شك في أن الحياة عالم لا مادي[٤].

كما لا يخفى أن «السير أولفر لودج» أشار إلى أن بعض الحوادث المرئية والحركات الملحوظة هي دليل واضح على أحداث أُخر غير مرئية. . . ـ لا مادية ـ تقع خارج مجالها على هذا النحو ـ الكائن الحي حيث

(١) مع أن المفروض أن المادة هي صورة من صور الطاقة التي تعد من العوالم اللامادية في هذا الكون.

(٢) الفيلسوف جود أستاذ الفلسفة بجامعة لندن سابقاً.

(٣) منازع الفكر الحديث، ص ١٦٠.

(٤) منازع الفكر الحديث، ص ١٦٥.

يمكن أن ينظر إليه باعتباره دليلاً يكشف عن شيء «لا مادي» يقع خارج نطاقه وهذا الشيء ولو أنه قد يتجسد في المادة فإن له وجوداً حقيقياً خاصاً به في مجال غير مجال المادة[1].

(١) منازع الفكر الحديث، ص ١٦٨.

عالم الطاقة..

ثاني أهم صور اللامادة في الطبيعة، ولا يخفى أن الكلام عن الطاقة إنما هو عن صورها وأشكالها المتعددة والمتحولة من حالة إلى أخرى دون فناء.

لقد سجلت الطاقة رقماً قياسياً في دوامة احتياجات الموجودات في العالم دون فرق في هذا بين كائن حي وآخر ميت، إذ هي مصدر احتياج مهم للكائن الحي لكي تكون له المقدرة على بذل الجهد. أما الإنسان أو العصفور لا فرق في أنهما يبذلان مجهوداً استمرارياً سواء في ذلك حالات الحركة أو السكون، فالمشي أو تسلق الجبل أو رفع الثقل سواء مع النوم في اعتباره يبذل مجهوداً ومستهلكاً لكمية من الطاقة...

في حالات الجري يبذل الإنسان طاقة حركية تقدر بـ(٦٠٠ ألف سعرة حرارية) لكل ساعة، وكذا عند التجديف في سباق فإن معدل الطاقة المستخدمة خلال هذا النشاط يقدر بـ«١٢٠٠ ألف سعرة حرارية» لكل ساعة. لكن حالات السكون التي يكون فيها الكائن الحي نائماً أو راقداً أو مستيقظاً أو واقفاً في حالة ثبات يصبح بذله للجهد واحتياجه للطاقة بالطبع أقل، فهو يرفع قفصه الصدري مع كل عملية شهيق أو زفير كما أنه يدفع في كل لحظة وزناً من الدم خلال الجسم...

إلا أنه في كل تلك الحالات لا يحتاج المرء فيها إلى أكثر من (٨٠ ألف سعرة لكل ساعة) عند الرقاد أو (١٢٠ ألف سعرة حرارية لكل ساعة عند الوقوف)[1].

---

(١) الطاقة والحركة، ص ١٧٠.

ولـو تـأملنـا عالم النبات لوجدناه أيضاً محتاجاً إلى الطاقة باعتباره هو الآخر يبذل مجهوداً، فعندما تتفتح أوراق الزهرة أو يعلو الساق بنفسه متجهاً نحو الضوء أو يشق الجذر أعماق التربة باحثاً عن قطرة ماء، فإنه يبذل في كل ذلك مجهوداً. . .

يتضـح ممـا سبـق أن الكـائنـات الحية على الإطلاق خاملة كانت أم متحركة محتاجة إلى عـالـم الطـاقـة الأثيري. ولكن هذا لا يعني قصور هذا الاحتياج إلى الكائن الحي فإن للطاقة معنى أوسع من ذلك.

نعـم ربمـا لا تكون لحبة الرمل أو الصخرة الساكنة المقدرة على بذل مجهود بنفسها ولكن احتواءها على الطاقة أمرٌ لا يخفى، فلو لاحظنا صخرة تأرجحت من مرتفع ثم سقطت بفعلٍ فاعل محطمة من تحتها تكون بهذا قد أدت شغـلاً دون أن نبـذل مجهـوداً ذاتيـاً، ومن ثم فهي تحتوي على طاقة تعرف بـ ـ الطاقة الكامنة ـ وفي كـل مـا مـر كانت الطاقة بصورها المتعددة ـ حركية ـ حرارية ـ مغناطيسية ـ كهربائية ـ ضوئية ـ أمراً موجوداً غير منظور أو ملحوظ، موجوداً ولا شك إلا أنه غير مسموع أو ملموس ولنقل موجوده غير موجوده.

ومن كل ما تقدم ومرّ نعلم أن الطاقة هذه لم تنعدم مرة لتوجد ثانية، إنما هي تتحول من صورة إلى أخرى، باقية مخزونة في تلك الصخرة لم تستحدث إنما هي كامنة فيها طوال الوقت ولو شئنا بعد سكونها واختفاء صور الطاقة عنها أن ندحرجها ثانية لأدت شغلاً جديداً يعبر وينبىء عن وجود طاقة كامنة فيها، ومن هذا المنطلق وجدَ لأول مرة تفكير بأن هناك قانوناً للطبيعة هو قانون ـ بقاء الطاقة ـ يمكن أن ينطبق على الأحياء وغيرها سواء بسواء.

وقد بدا الأمر جلياً لـ ـ جول ـ في السنوات الأربعينية من القرن التاسع عشر[١].

إذ أنه لم يجد على الأقل ولو حالة واحدة لم تخضع فيها الطاقة لقانون البقاء بصورة قاطعة.

كما يعد الألماني «هيرمان لود فيح فيردينا دفون هلمولتو» أول من صاغ قاعدة حفظ الطاقة ـ باعتبارها لا تفنى ولا تخلق فالكون يحتوي على كمية معينة من الطاقة مساوية لما كان يحتويه لأي زمن من الأزمان دون زيادة أو نقصان[٢].

وقد أكد هذا المبدأ ـ مبدأ الديناميكية الحرارية ـ كلٌّ من (ماير، جول، كولدينغ) لقد استطاعوا أن يثبتوا أن كل عمل ميكانيكي وكل طاقة كهربائية أو مغناطيسية أو كيميائية قادرة على التحول كاملة إلى حرارة تبعاً لنسبة ثابتة، وهذا هو ما يدعى بمبدأ التعادل[٣].

وبهذا أمكن اعتبار مفاد الغاية = عدم فناء اللامادة وبقائها متحولة ومتغيرة من صورة إلى أخرى.

---

(١) الحياة والطاقة، ص ٦٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦١.

المبحث الثاني:

عالم المادة تحت المجهر الفيزيائي

. . . منذ أن ظهرت النظرية النسبية لـ (آينشتاين) بدأ العلم بانتزاع الصفة المادية للعنصر بصورة نهائية على ضوء الحقائق المستحصلة، فكان أن أصبحت أوصاف المادة مثل الصلابة والسيولة والغازية طوارىء مادة وحمالات مستحدثة عليها لا أنها مقومة لها ومن ذاتياتها.

لقد قررت هذه النظرية أن كتلة الجسم نسبية وليست ثابتة وأنها بتزايد مستمر ومطرّد كلما زادت سرعة الجسم.

لما كانت كتلة الجسم المتحرك تزداد بزيادة حركته. . .

ولما كانت الحركة مظهراً من مظاهر الطاقة. . .

كانت الكتلة المتزايدة في الجسم عبارة عن طاقة متزايدة فيه. . .

وبهذا أصبح العالم يعرف أن الكتلة عبارة عن طاقة مركزة. . . وأصبح معلوماً أن الغرام الواحد من المادة يتحول إلى «ألف مليون مليون وحدة، من وحدات الطاقة أو ٢٥ كيلو واط ساعة[١].

وكان ذلك كله بفضل معادلة آينشتاين الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء.

---

(١) التكامل في الإسلام، ج٣، ص ٩٢.

ولا يخفى أيضاً أن الطاقة المتحولة هذه بالإمكان إرجاعها مادة لها مميزاتها وخواصها. . .

وعلى ضوء هذه الحقائق يجب أن لا يلتبس الأمر علينا فنقول بنفي المادة بالمرة إذ أن كل ما حصل ما هو إلا عملية تحويل المادة إلى طاقة لا أنها عملية تغير حقائق ونفي وجود المادة ألبتة إنما هي قضية تحول، وبهذا أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم بعض ما يصلح لأن يكون مقدمة مصغرة لكشف العالم الحي والانطلاق منه إلى عالم الأثير داخل كيان الكائن الحي ـ الإنسان ـ عبر مواضيع نعرض لها على التوالي إن شاء الله.

المبحث الثالث:

«الإنسان»... مكوناته..

على ضوء الحقائق السابقة

إن حقيقة الإنسان تكمن في عنصرين، أحدهما مادي والآخر شفاف، روحي لا مادي (أثيري).

وقد أوضحت وأشارت تقارير العلماء «من أصحاب العلم الحديث» إلى ذلك المركب «الإنسان» وإلى حقيقة عناصره، التي قد يكون البعض منها ومن صفاتها لا يزال في حيز المجهول. وفي معرض إبداء الرأي وتبيان ماهيته... لذلك كان لا بد من التعرض إلى بعض عناصر العلم الحديث والتي أثبتها العلماء عن طريق الكثير من النظريات الحديثة والتي أثبتت عناصر المادة الموجودة في هذا الجسد ومن ضمن مواد هذه المواد التي ذكرت في هذه النظريات ألا وهي عالم ما وراء الطبيعية أو تسمى عند الفلاسفة عالم الميتافيزيقيا لذلك كان لا بد من البحث في هذه العناصر ومنها:

الأثير في جسد الإنسان

١ ـ قال السير «أولڤر لودج» إنه وساطة «أي الأثير» يتعرض الجسد المادي من خلالها وعن طريق الاهتزازات التي يسجلها العقل عن طريق الحواس كما أن جسم المادة الذي نشاهده ونمسك به ليس هو كل جسمها بل ينبغي أن يكون له مقابل أثيري كيما يمسك بين أجزائه وهذا المقابل الأثيري المزود الحقيقي بالحياة[١].

٢ ـ الأستاذ جيمس آرثر فندلاي (J.A. Findlay) مدير المعهد الدولي للبحث الروحي قال: «إن الجسم يتكون من مادتين مادة أثيرية ومادة فيزيقية» وكل خلية فيزيقية لها خلية أثيرية تُشبهها، وإن كل جرثومة حيوية ثالوث يتألف من عقل ومادة أثيرية ومادة فيزيقية» وتؤلف المادتان الأخيرتان الجسم وعند الموت يطرح الغطاء الفيزيقي ليعود إلى الأرض التي جاء منها، ويعود العقل هو والروح إلى الوسط الذي جاء منه. . .[٢].

٣ ـ الأستاذ ـ هيوات ـ ماكنزي «H. Mckenzie» مدير الكلية البريطانية للعلم الروحي قال: «أنه عندما تغادر الروح جسد الإنسان عند الوفاة فإنها تفلت من خلال عظام الجمجمة، ولكن في النوم أو الغيبوبة تغادر من خلال القفص الصدري»[٣].

٤ ـ سلم عالم النفس المعروف (مكدوجال) بالحقيقة الإيجابية بوجود الجسد المادي واللامادي في الإنسان إلى الحد الذي جعله يقول. . . إنه

---

(١) الإنسان روح لا جسد، ج١، ص ٦٠٦.
(٢) على حافة العالم الأثيري، المؤلف جيمس آرثر فندلاي.
(٣) الاتصال بالروح لمؤلف Spirit Interoursel (H. mckenzie).

يفضّل . . . بعد بحوثه في الباراسيكولوجي أن يستعمل تعبير الجسد الأثيري أو الروحي للإنسان بدلاً من الحديث عن العقل الباطن[١].

٥ ـ عالم النفس السويسري (جوستاف جونج) «C.G. Jung» ويعد هذا من أبرز علماء النفس الحديث وكان عضواً ـ بجمعية البحث الروحي بلندن ـ وقد أكد هذا العالم على أن حقيقة الروح حقيقة قائمة بذاتها ومستقلة عن كل مافيزيقي.

وكما اقتنع بعد بحوث مضنية في الباراسيكولوجي بوجود هذا الجسد أيضاً. واستعمل في التعبير وصفاً أصبح شائعاً ألا وهو (The Ar chetypal) أي النموذج أو المثال الأصلي، ووصفه جونج بأنه الإنسان السماوي[٢].

---

(١) الإنسان روح لا جسد، ج١، ص ٦٣٤.
(٢) الإنسان روح لا جسد، ج١، ص ٦٣٥.

حقيقة الروح
وعلاقتها بالجانب المادي في الإنسان

إذ بعد اتساع حركة البحث العلمي التي شملت العشرات بل المئات من أفضل مفكري الماضي والحاضر في شتى البلاد فأصبحوا من دعائم هذا العلم (علم الأرواح واللامادة) ودعاته ومنهم عدد من ذوي الأسماء اللامعة في الأدب وفي الصحافة مثل: سير وليام. ت. استيد (Wilam.T.Stead) (١٨٤٩ ـ ١٩١٢) ومثل الروائي الشهير سير آرثر كونان دويل (Arthr Conan-Dowle) (١٨٥٩ ـ ١٩٣٠) الذي أمضى حياته باحثاً وكاتباً وخطيباً في موضوع الأرواح. ومثل الأستاذ هانن سوافر (Hanen-swappar) الذي كان استيد نقيباً للصحافة وكان مثل دويل باحثاً في هذا الموضوع...

وقبل أن تظهر بحوث سير أولقر لويدج وكومبتون ومجموعة ضخمة من علماء الفيزياء عن الأثير. كانت الكتب الروحية قد كتبت عن هذا الأثير بوصفه حقيقة مقررة، وعن طبيعة المادة الصلبة التي نلمسها بوصفها لا تعدو أن تكون أثيراً، وفي رتبة اهتزاز معينة خاضعاً لتأثير العقل المباشر فيه، بحيث يبدو لهم كما كان وهماً من صنع العقل يخبو مع الموت.

كما تظهر لهم مادة صلبة جديدة واقعة تحت تأثير العقل في مستواه الجديد.

وقبل أن تتنبأ بحوث إدن جنتون ولوديج وغيرها من علماء الطبيعة عن وجود جسدين لكل جسم صلب مادي والآخر أثيري كانت المراجع الروحية مجمعة على وجودها. . .

وقبل أن تتحدث بحوث السير جيمس حيز وراسيل عن هذا العالم المادي الذي نعيشه بوصفه عالماً بالفكرة المطلقة متوقفاً أولاً عن مدى إحساسنا به كانت البحوث الروحية تتضمن هذا المعنى بصور شتى.

كما كان الاتصال أو اكتشاف الاتصال اللاسلكي وتقدمه عاملاً هاماً في تذليل كثير من الاعتراضات النظرية التي كانت تثار في الماضي حول وجود عالم الأرواح.

لأنه عن طريق هذا الاكتشاف الحديث، أصبح من المفهوم التحدث عن أطول الموجات، وكيف أن لكل شيء رتبة تردد أو اهتزاز وبالتالي طول معصية.

كما أصبح من المفهوم عن عقل الإنسان بوصفه جهازاً صغيراً للاستقبال محدود القدرة.

وكما أصبح واضحاً أن المادة الصلبة في حقيقتها عبارة عن مجرد فراغ اهتزازي ولذا تخرقها موجات اللاسلكي دون عناء.

وكما أصبح من المفهوم لهذا السبب التحدث عن تأثير مباشر للعقل في المادة، بل التحدث عن العقل الذي هو وراء كل مادة، والذي يتفاعل دوماً مع اليكتروناتها وبروتوناتها أي مع كهاربها الموجبة والسالبة فيؤثر فيها ويتأثر بها حتى أصبح تلازمهما أمراً مسلماً به في الفيزياء الحديثة. كما جرت في نطاق علم النفس بحوث أخرى متصلة ببحوث علم الروح، وهي جزء لا يتجزأ منها، مثل بحوث الإدراك عن غير طريق الإحساس وتأثير العقل

المباشر في المادة سواءاً تم في غيبوبة الوسيط أم في غيبوبته وهي بحوث تجري في نطاق العلم الروحي كما تجري على نفس الصورة في نطاق «الباراسيكولوجي» في البلاد الأنجلوسوكسونية وفي نطاق علم ما وراء الروح «Lametap swchigue» في البلاد اللاتينية.

وهذه البحوث وتلك تجري منذ عشرات من السنين على أقوى صورة في جميع بلاد الحضارة. وقد احتضنتها منذ مبدأها عدة جامعات عريقة ومعاهد عليا وكلها وصلت إلى نتيجة واحدة إيجابية حاسمة وهي...

إن في الإنسان عنصراً روحياً متحيزاً بغير ريب عن عنصره المادي، ومنها ما وصل صراحة وبشكل جاسم إلى الاعتراف بوجود صلات متعددة الجوانب بين عالمين في الإنسان أحدهما منظور والآخر مادي...

إذن في الإنسان كما لاحظنا قوة مجهولة في واقعها ملحوظة محسوسة آثارها محررة مطلقة من كل قيد وشرط. فلا زمان يحدها ولا مكان يعتمد الإنسان بتصرفاته عليها فهي لا تكل ولا تمل تعمل في يقظته وتحسسه وتعيش فيه ساهرة في منامه، فهي الأساس في ذات الإنسان أو فلنقل هي الإنسانية في جسد الإنسان، إلا أن وجودها أثبث وأوضح من وجود الجسد المادي أي جسد الإنسان حتى الخشبة، لأنها تعلقت بالجسد تعلقاً لا يقبل الانفكاك، وحلت فيه نحو حلول، فإن اتصال الروح بالجسد أو بالبدن هو اتصال تدبير وتصرف لا ينقطع ولا ينفصل إلا بموت الجسد.

وقد ثبت أن لكل من هذين العنصرين صفات ملازمة لهما... وكذلك فإن الإدراك والنمو والإحساسات من تأثير الحواس الخمسة كلها صفات ملازمة للمادة.

أما العلم والإرادة والحب والبغضاء والكرم ونحوها، فإنها صفات ملازمة للروح. . .

وبعد أن أوضحنا في ما تقدم من خلال الكرة التي فتحناها عن عالم الروح ذلك البحر الخضم المتلاطم هو بعض مما يجب أن يحيط به القارىء. .

فنقول. . . إن العلم الحديث وعلماءه لم يكونوا بأول من اكتشف وأقرَّ وأطلق وسمى ذلك العالم «**عالم ما وراء المادة**».

ولقد كان أئمتنا الأطهار هم السباقين للكشف عن تلك العوالم من خلال محادثاتهم ومناظراتهم.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن روح المؤمن وبدنه كالجوهرة في الصندوق فإذا أخرجت الجوهرة من الصندوق رمي بالصندوق ولم يعتن به»[1].

عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر بن محمد بن علي الثاني عليه السلام قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن علي عليه السلام، وسلمان الفارسي (رض) فأقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام وسأله عن مسائل ثلاث. .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام سلني عما بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه. . .

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام فقال له: يا أبا محمد أما ما سألت من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه،

---

(١) حق اليقين، ج٢، ص ٤٧.

فإن روحه متعلقة بالريح، والريح متعلقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن له الله يرد تلك الروح على صاحبها، جذبت تلك الروح الريح، وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت وسكنت في بدن صاحبها، وإن لم يأذن الله عزّ وجلّ يرد تلك الروح على صاحبها، جذبت الهواء الريح فحييت الريح الروح: فلم ترد على صاحبها إلى وقت ما يبعث[1].

وعن الأحول قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: عن الروح التي في آدم عليه السلام: قوله: «فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي»[2].

قال: هذه روح مخلوقة والروح التي في عيسى مخلوقة[3] وفي جواب الإمام الصادق عليه السلام: على الزنديق في سؤاله...

أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: يذهب فلا يعود.

قال: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق البدن لم يرجع إليه أبداً كما لا يرجع الضوء إلى السراج أبداً إذا انطفأ؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: لم تصب القياس، إن النار في الأجسام كافة، والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد فإذا ضرب أحدهما بالآخر سقطت من بينها نارٌ تقتبس منها سراجاً له ضوء فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب، والروح جسم رقيق قد ألبس قالباً كثيفاً وليس بمنزلة السراج الذي ذكرت إن الذي خلق في الرحم جنيناً من ماء صاف وركبَّ فيه ضروباً

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص ٣٩٧.
(٢) سورة هود، الآية: ٣٨.
(٣) الأصول من الكافي، ج١، ص ١٣٣.

مختلفة من عروق وعصب وأسنان وشعر وعظام وغير ذلك، وهو يحييه بعد موته ويعيده بعد فنائه.

قال: فأين الروح؟

قال عليه السلام: في بطن الأرض حيث مصرع البدن إلى وقت البعث[1].

ولا يخفى على القارىء الكريم أن الإسلام ذات الأيديولوجية الخيرة المتميزة سعى ومن يومه الأول نحو التهذيب والحد من الاندفاع والانحياز نحو واحدة من هاتين القوتين، فلكل قوة (الروحانية ـ المادية) من هاتين وكما أسلفنا صفات ملازمة لها...

فلا رغبات روحانية متطرفة تؤدي بالإنسان المسلم إلى الرهبنة المنبوذة في الإسلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا رهبانية في الإسلام»**.

ولا مادية مغالية أوصلت الناس في هذا القرن إلى الحالة التي يرثى لها، حيث فقد الإنسان سعادته، بل على العكس كانت مجلبة للتعاسة والحزن والخراب.

ولو كان للمستعمرين ومستغلي الشعوب الضعيفة جزء من القيم الروحية لما ذهب هؤلاء للنهب وامتصاص خيرات الشعوب فقد سيطر على هذا العصر شعار القيم المادية سيطرة تامة **«الحق للقوة»**.

ويأتي دستور المسلمين «القرآن الكريم» ليوجه البشر نحو الطريق الأمثل والسعادة اللامتناهية في طلب المنزلتين الروحية والمادية.

---

(١) الاحتجاج، ج٢، ص ٢٩٩.

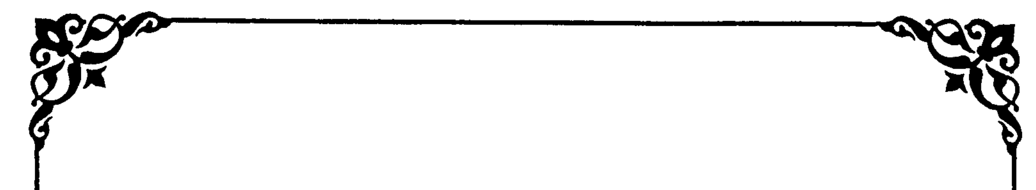
قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[1].

﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ ﴾[2].

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾[3].

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.



الفصل الثاني

القسم الثاني

شبهة استحالة عودة المعدوم

ويتضمن المباحث التالية:

١ ـ البعث... والبعث الجسدي والروحي.

٢ ـ أقوال المنكرون للمعاد الجسماني.

٣ ـ المادة لا تقبل الفناء.

أ ـ الاتجاه العلمي.

ب ـ الاتجاه الفلسفي.



القسم الثاني

شبهة استحالة عودة المعدوم..

«البعث، والبعث الجسدي والروحي»

من منها سيعاد؟... ومن الذي سيخضع لحساب العدل الحكيم يوم القيامة...

ومن سيكون المنعَّم أو المعذب في جنة الله وناره...؟.... الروح أم الجسد..؟

جملة من الأسئلة، تراود الفكر وتطرق بابه باستمرار، باحثة عمن يجيب...

ولأجل ذلك وقع خلاف واسع وكبير بين علماء المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ولأجله أيضاً قيل، أن هناك أقوالاً ثلاثة:

الأول: ... إنه ليس المعاد إلا النفس، وهذا هو مذهب جمهور من الفلاسفة القدامى كما عليه بعض المتأخرين[١].

الثاني: ... إنه ليس المعاد إلا البدن وهم فرقة من أهل الجدل[٢].

---

(١) الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب.

(٢) المصدر نفسه.

الثالث: . . . إن المعاد للأمرين معاً (الروح والبدن)، وهؤلاء يؤلفون طائفة كبيرة من المسلمين[1].

والصواب والواجب في اعتقاد المسلم أن يكون متضامناً مع المذهب الثالث، بأن المعاد روحاني وجسماني.

إذ أن الكاسب لكل طاعة، ولأي معصية هو كل من الروح والجسد معاً، فيجب عودهما معاً للجزاء.

باعتبار أن حواس الجسد الخمس تعدُّ طرقاً لنقل ما يسعدُ الروح أو يجعلها شقية.

فقد يتذوق الإنسان طعاماً ما فيرغب به، والرغبة هذه مشتركة بين اللسان «حاسة الذوق» وبين نفس ذلك المتذوق، فإنها تأنس بالطعام الجيد ذي المذاق العذب، وقد يرى امرأة جميلة أجنبية عنه فتلتذ عينه بما حرّم الله عليه ولكنه وفي نفس الوقت تكون نفسه هي الأخرى قد أصابها شيء من المتعة.

وقد يسمع في جوف الليل مناجات عبد مؤمن يخاطب ربه معترفاً قاراً بذنوبه فتنفرج أساريره ويرق قلبه لما سمعه فتحثه نفسه إلى المسارعة في الامتثال وطاعة الرب. . .

وقد أعد الله لعباده الصالحين يوم القيامة لذاتٍ بدنية مادية من المحسوسات، وملذات نفسانية من السرور ومشاهدة الملكوت بعين البصيرة. . .

ولمن سخط الله عليه وحقت عليه كلمة ربه في العذاب، آلام بدنية من

---

(١) الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب.

الحر والبرد، ونفسانية من الحزن واليأس والخوف، ولا يخفى أن قضية وجود هاتين اللذتين كان بإجماع أهل الملل وشهادة نصوص الكتاب العزيز...

فقد نص الكتاب العزيز على العود الجسماني بهذه الآية كما أفاد المفسرون حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1].

نزلت هذه الآية في أُبي بن خلف، خاصم رسول الله ﷺ وأتاه بعظم قد رُمَّ وبُلي ففته بيده وقال: «يا محمد أترى الله يحيى هذا بعدما رمه؟».

فقال النبي محمد ﷺ: «نعم ويبعثك ويدخلك النار...»[2].

وقد جاهد كذلك بعض الفلاسفة في سبيل تركيز دعامة البعث الروحي دون الجسد بشتى الشبهات التي نصبوها على البعث الجسدي وأساسها هي قضية امتناع عودة المعدوم، وسيرد إنشاء الله تعالى تفصيل ذلك، ورد جميع تلك الشبهات وعلى الخصوص ما عقد البحث من أجلها، ألا وهي استحالة عودة المعدوم، وهناك نصوص قرآنية قامت على إثبات العود الروحاني وأنه حق أيضاً...

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

ولم تكن السنة النبوية لتتخلف عن هذا الميدان.

فقد روى الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير

---

(١) سورة يس، الآيتان: ٧٨ و٧٩.

(٢) حق اليقين، ص ٣٧.

(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٦٩ ـ ٧١.

المؤمنين عليه السلام قال: (من صلى ليلة تامة تالياً كتاب الله راكعاً وساجداً وذاكراً، يقول الرب تبارك وتعالى لملائكته يا ملائكتي انظروا إلى عبدي أحيا ليلة ابتغاء مرضاتي، أسكنوه الفردوس وله فيها مائة ألف مدينة، في كل مدينة جميع ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. . .)[1].

عن حبة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر «ظهر الكوفة» فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب الأقوام، فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي، فقلت إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه.

فقال: يا حبّة، إن هي إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم كذلك؟

قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم خلقاً خلقاً يتحادثون.

فقلت: أجسام أم أرواح؟

فقال أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن[2].

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن أرواح المشركين».

فقال: «في النار يعذبون يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا»[3].

---

(١) حق اليقين، ص ٣٩.
(٢) حق اليقين، ص ١٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

وعن محمد بن أحمد بإسناد له قال: «قال: أمير المؤمنين عليه السلام شر بئر في النار (برهون) الذي فيه أرواح الكفار»[1].

ولا حاجة لنا في ذكر الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، التي إن دلت على شيء فإنما تدل على العود الجسماني والروحاني معاً، فالتشهي المذكور في الآية المباركة من صفات الروح، ولذة العين محسوسات جسمانية.

فإن كتب الحديث قد غصَّت بمثل ذلك...

ولقد عُدّ الفلاسفة أول من اعتلى وارتقى مركب الخلاف في ذلك «**في جنس المعاد يوم القيامة**» فذهبوا إلى أن الروح هي التي ستخضع للحساب دون أن يكون للجسد أي دور في ذلك اليوم، وقد عولوا في دعم مبدئهم هذا على جملة من الإشكالات الواهية التي سنتعرض لها على التوالي إن شاء الله تعالى ولأجل هذا سوف أبدأ بتفصيل ما أسموه بـ«**استحالة عودة المعدوم**» وأن الفناء لا يقبل العود أبداً، بعد أن أوضحت في الصفحة المتقدمة وبصورة موجزة الحق في مسألة المعاد عند الحشر.

قال المنكرون للمعاد الجسماني: «إن الإنسان صائر ولا بد إلى الفناء والعدم، يتناثر جسده في شتى أصقاع العالم ثم مآلها إلى الرميم والفناء، وأن ما عدم لن يعود أبداً... لأن المعاد ليس هو الأول بل هو شيء جديد، فهو غيره...» انتهى.

ولكننا متى قلنا بالفناء والعدم، ومن قال بأن تناثر الجسد فناء أو عدم له، مع أن القول باستحالة عودة المعدوم في حق الله سبحانه وتعالى أمرٌ في غاية العجب.

(١) الكافي، ج٢، ص ٣٣.

ثم أن حقيقة ما يحدث للإنسان بعد موته ما هو إلا عملية تحلل لهذا الجسد المادي وبقاء للجسد الأبدي وليس التحلل فناءً وعدماً.

وينبغي أن نشير إلى أن اكتشاف التنويم المغناطيسي في يومه وما أسفرت بحوثه من إمكان استقلال الوعي الحسي عن الجسد في الزمان والمكان، ومن إمكان استقلال الإحساس عن أدوات الإحساس المادية من أقوى المقدمات التي مهدت للوصول إلى احتمال دوام الحياة بعد الموت الجسدي المادي كحقيقة مرتبطة بباقي الحقائق التي وصل إليها علم الإنسان «**الانثربيولجي**» لهذا لم يكن الموت والتفكك الملحوظ على بدن الإنسان عدماً في يوم من الأيام ومع ذلك أيضاً سنحاول في بضع صفحات أخرى إيضاح الموضوع بصورة أفضل كمّاً وكيفاً.

المادة لا تقبل الفناء..

ولأجل إعطاء الدليل على ذلك سنمرّ في طريقين أحدهما علمي وآخر فلسفي.

الطريق العلمي:

أما العلمي فنقول: لقد أتيت العلم الحديث أن المادة لا تنعدم أبداً، وقد عبر عن هذا كل من العالم الروسي «لومونروف» عام ١٧٥٦. والعالم الفرنسي «لافوزيه» عام ١٧٧٤ من خلال التجارب العلمية التي أجريت على عمليات الاختزال والتجزئة ما هذا نصه..

«في أي تفاعل كمياوي فإن الكتلة لا تفنى ولا تخلَق».

وهو أحد قوانين الاتحاد الكيمياوي الأربعة التي تمخضت عنها التجارب العلمية التي قام بها عدد من العلماء خلال القرن الثامن عشر.

كما لا يخفى أن النظرية الذرية التي جاء بها «دالتون» العالم الإنكليزي عام ١٨٠٨ وفسرت هذه القوانين، إذ كل ذرة في العالم لا تفنى ولكنها تتحول من حالة لأخرى ومن صورة لثانية، فالشمعة قد تحترق ولكن الكيمياوي يستطيع أن يثبت لنا أن عناصرها لم تفنَ، إنما تفرقت في الجو وتغيّر شكلها ولكن بقي جوهرها كما هو من دون أن يتغير.

الطريق الفلسفي...

فذلك يكون باستعراض موجز للحركة الجوهرية التي نادى بها الفيلسوف الإسلامي «**صدر الدين الشيرازي**» في أسفاره[(١)].

ومن المعلوم مسبقاً وقبل كل شيء أن «لكل موجود في الحياة صورة وهيولا».

وأن الهيولا ما هي «إلا القوة المحضة القابلة لتلقي العديد من الصور والأشعال على التوالي وفي أي زمان».

ويعرف «ابن سينا» الهيولة «في حدوده» ـ كل شيء من شأنه أن يقبل كمالاً وأمراً ليس فيه، فيكون بالقياس إلى ما ليس فيه هيولى، وبالقياس إلى ما فيه موضوعا[(٢)].

وإذا أردنا أن نختار مثالاً بيناً للقوة المحضة هذه بحيث نجعلها قريبة من الذهن فلنا أن نختار جهاز التلفزيون، فإن قابليته على التقاط الصور ونقلها للمشاهدة هو ما يسمى بالهيولا وأما الصور وتلبسه بكل لحظة بصورة جديدة ما هي إلا وجوه اكتست تلك الشاشة سرعان ما تذهب لتبقى القوة المحضة مستعدة لصورة أخرى.

ولو تأملنا قليلاً لوجدنا أن الهيولة «الماهية» لم تتغير ولم تنقلب من ذات إلى أخرى، إنما الذي حصل هو صور متعاقبة متبادلة لا منقلبة كما قال

---

(١) الأسفار الأربعة، ج٣، ص ١٠١.

(٢) حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، ص ٤١.

الفيلسـوف السبـزواري فـي منظومته «إذ صورة لصورة لا تقلب وهذه كلياً متعاقبة في الزمان لضيق وعائه مجتمعة في وعاء الدهر لسعته والمتفرقات في وعاء الـزمن مجتمعـات فـي وعـاء الدهر ولا بد من محل حامل وقابل لتلك الصور المتعاقبة ما شئت فسمه مادة أو هيولا أو الأجزاء الأصلية»[1].

ولنأخذ مثالاً على ذلك:

وأنـا جـالس الآن حقيقـة أمـام النهـر، وأشاهدُ في بعض زواياه ظلالاً صنعته بعض الأشجار.

فإن للماء نفسه قابليةً وقوة على تقبل الصور وأن ما نلاحظه من الظلال ليس هو صـورة واحـدة بل صورٌ عديدة تتجدد بتجدد كل دفعة من هذه المياه المنسحبة.

ولنأخذ الإنسان مثالاً آخر لنجد جوهره وحقيقته قابلة أيضاً للتطور والمرور بمراحل خمسة، وصور عديدة لكي يصل حد الكمال، ولنلاحظ المجموعة المنوية عنده فإنها تحمل بين جوانحها قوة الإنسان المحضة سرعان ما تنتقل إلى مرحلة جديدة من مراحل حياتها فتتحول من مرحلة السائل المنوي إلى مرحلة اللحم وكسوته للعظام، حتى يكمل جميع مراحل حياته داخل بطن أمه..

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾[2].

ولا زالت تلك القوة المحضة وذلك الجوهر في نفسه يحمل ذلك الكائن الحي وبمجرد خروجه إلى الدنيا نراه ينتقل من الحياة الساكنة والهادئة

---

(١) عقائد الإمامية الاثنى عشر.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٧.

داخل رحم أمه إلى مرحلة المهر والأحضان، وما أن يقطع جزءاً من حياته حتى يسعى لاستبدال صورته القديمة بصورة جديدة من صوره الكامنة في نفسه والقابلة على العروض بالنسبة لجوهره.

فالملاحظ لهذا الكائن الحي والمتتبع لخط سير حياته يجده ما إن يكتسي بصورة ومرحلة معينة حتى يسعى إلى أخرى ليصل في نهاية المطاف إلى مرحلة الشيخوخة حيث كان قد قطع جميع مراحل حياته، وقد وصل بنفسه إلى مرحلة التكامل، وهو التكامل المرحلي، والتكامل الصوري.

وحينئذ نقول: **«كل شيء تجاوز حده انقلب لضده»**.

فما أن تصل درجة الغليان للسائل حدها الأقصى، حتى يعود الماء أو غيره إلى حالته الأولى السابقة والأصلية، أو فقل إلى مرحلة الصفر وهي البخار أي ـ **عدم الفناء** ـ.

وما أن تصل التفاحة إلى مرحلتها العليا، من مراحل نضجها ولم تكن قد قطفت حتى تعود إلى مرحلتها السابقة وهي الفساد شيئاً فشيئاً ـ **عدم الفناء** ـ.

وما أن تصل النار إلى مرحلتها القصوى، مرحلة تكاملها واشتدادها وأوج حرارتها واشتعالها حتى تبدأ بالخفوت والاضمحلال فالتلاشي ـ **عدم الفناء... وهكذا**.

إذن فكل شيء وصل حده انقلب لضده، فإن قانون الحياة يقتضي أنه عندما تتحقق صور وعندما يصل كائن ما إلى كمال طبيعته فعندئذ يجب أن تبدأ حركات في المادة يترتب عليها خلق الصور الأخرى في الوجود[1].

وإلى عين هذه القاعدة العامة الكلية «كل شيء وصل حده عاد لضده»

(١) الفلسفة اليونانية، تايلور، ص ١٣٦.

وقد ذهب كل من الحكيمين ـ أفلاطون ـ أرسطو ـ وذلك بقولهم: «إن كل ما يكون من شيء ما فإنه يفسد لا محالة إلى ذلك الشيء»[1].

وهذا الإنسان ما إن ستعرض على شاشته كل فصول حياته من صور ومراحل حتى يعود أخيراً طالباً أصله المتقدم فسوف يموت ليبدأ من جديد كل جزء من جسمه يعود إلى أساسه ومبدئه بدءاً يتبخر الماء إلى تحوّل وصيرورة اللحم تراباً فيكون بهذا قد استحضر جميع ماله من أجزاء أصلية.

وفي كل هذه المراحل كان جوهره «الإنسان» وقوته المحضة بنفسها هي التي تشتد شيئاً فشيئاً، فوصلت إلى مرحل التكامل إذن، فالجوهر بنفسه يمر بحركة تكاملية.

وما نلاحظه من حركة ومرور الأعراض هذه ما هو إلا من قبيل مشاهدة الشاشة للتلفزيون حيث لا وجود لهذه الأعراض كموجودات خارجية، إلا أنها ولا شك موجودات كامنة في نفس الجوهر.

وقد ذهب أرسطو وفلاسفة المتكلمين إلى أن المادة والهيولا لا توجد بدون صورة ولا تكون بدون نوع من الكيفيات[2] وبهذا اللون أثبت المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المعاد الجسماني[3] حيث قال: «**يشهد العيان والوجدان وهما فوق كل دليل وبرهان وإليها ترجع أكثر الأدلة. إن هذا البدن المحسوس الحي المتحرك بالإرادة لا يزال يلبس صورة ويخلعها وتفاض عليه أخرى وهكذا لا تزال تصور عليه الصور منذ أن كان نطفة، فعظاماً فجنيناً فمولوداً، فرضيعاً، فغلاماً، فشاباً، فكهلاً، فشيخاً، فميتاً، فتراباً.**

(١) حوار بين الفلاسفة والمتكلمين، ص ٢٢.
(٢) حوار بين الفلاسفة والمتكلمين.
(٣) عقائد الإمامية الاثنى عشرية، ص ٢٨٠.

تكونت النطفة من التراب فعادت إلى التراب، فالصور متعاقبة متبادلة لا متعاقبة متبدلة.

والنفس البشرية مستنبطة لعناصرها من طفولة إلى شباب إلى شيخوخة ثم الهرم»...

إذن فالموت لم يكن فناءاً للجسد بأي شكل من الأشكال وإنما هو عودة كل شيء لأصله ونقطة بدايته للجسد.

عن الصادق عليه السلام: «إنه سئل عن الميت يبلى جسده؟».

قال: نعم. حتى لا يبقى لحم ولا عظم إلا طينة التي خلق منها فإنها لا تبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة.

ماذا قال الفلاسفة: في إبطال البعث الجسدي..

من جملة ما قاله الفلاسفة في سبيل الإنكار لبعث الأجساد وردّ الأرواح إلى الأبدان[١].

١ ـ قالوا: إن النفس تبقى بعد الموت بقاءاً سرمدياً[٢]. أما في لذة لا يحيطها الوصف بها لعظمها، وأما في ألم لا يحيط الوصف به لعظمه، ثم قد يكون الألم مخلداً وقد ينمحي على طول الزمان[٣].

ثم قالوا. . . فلا تنال السعادة المطلقة، إلا بالكمال والتزكية والطهارة والكمال بالعلم والزكاء بالعمل[٤].

ووجه الحاجة إلى العلم أن القوة العقلية غذاؤها ولذتها في درك المعقولات[٥] وإنما يمنعها من الاطلاع على المعقولات، البدنُ وشواغله، وحواسه وشهواته.

والنفس الجاهلة في الحياة الدنيا حقها أن تتألم بفوات لذة النفس ولكن الاشتغال بالبدن ينسيه نفسه ويلهيه عن ألمه، كالخائف لا يحس بالألم،

---

(١) ملخص ما ورد في كتاب تهافت الفلاسفة، الغزالي، في معرض رده على جمهور الفلاسفة الكافر ببعث الأجساد، والنعيم والعذاب الجسماني، مسألة ٢٠، ص ٢٨٠ تحقيق الدكتور سليمان دنيا، الطبعة الثالثة، دائرة المعارف المصير.

(٢) غير قابلة للفناء.

(٣) وقد تعرضنا لذلك في باب خلود العذاب لبعض دون بعض آخر وأن النار مطهرة لبعض الذنوب في سبيل إدخاله الجنة التي وعد بها المؤمنون.

(٤) من هنا كانت بداية الإشكال الأول على بعث الأجساد.

(٥) باعتبار أن النفس ما هي إلا القوة العقلية فلذتها لا تتحقق إلا بإدراك المعقولات كما في القوة الشهوانية، لذتها تكمن في نيل المشتهى والقوة البصرية تنحصر لذتها في النظر إلى الصور الجميلة.

وكالخدر لا يحس بالنار، أما إذا زال الخدر شعر بالألم العظيم دفعة واحدة هجوماً. . .

فالنفوس الكاملة بالعلوم، إذا انحطت عنها أعباء البدن وشواغله بالموت كان مثاله مثال من عرض عليه الطعم الألذ والذوق الأطيب وكأن به عارض من مرض يمنعه من الإدراك فزال العارض فأدرك اللذة العظيمة دفعة.

ومثال من اشتد عشقه في حق شخص فضاجعه ذلك الشخص وهو نائم فإنه لا يحس به، ثم ينتبه فجأة فيشعر بلذة الوصال بعد طول الانتظار ودفعة واحدة[1].

٢ ـ قالوا. . . . إن اللذات العقلية أشرف من اللذات الجسمانية[2] فإذا كانت كذلك فاللذات العقلية الأخروية أفضل من اللذات الدنيوية فلا بد من حشر النفوس لوحدها لإدراك اللغة الفضلى.

واستدلوا على ذلك بأمرين:

الأول: إن حال الملائكة أشرف من حال السباع والخنازير والبهائم وليست (للملائكة) لذات جسمية من الجماع والأكل، وإنما لها لذة الشعور بكمالها وجمالها الذي خُصت به نفسها في اطلاعها على حقائق الأشياء.

الثاني: إن الإنسان قد يؤثر اللذات العقلية على الجسمية فإن من يتمكن من غلبة عدوه والشماتة به، يهجر في تحصيلها نكهة الأطعمة، بل قد يهجر الأكل طوال النهار في لذة غلبة (زميلة في مسألة رياضية أو غيرها من العلوم).

بل ربما يهجم الشجاع على جمّ غفير من الشجعان مستحقراً خطر الموت شغفاً بما يقومه بعد الموت من لذة النشأة والإطراء عليه.

---

(١) باعتباره لذة عقلية.

(٢) قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم. . . فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾

إضافة إلى تأكيد النبي محمد ﷺ على اللذات العقلية الأخروية.

قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**».

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1].

هذا هو الحاجة إلى العلم[2] في نيل السعادة المطلقة.

وأما الحاجة إلى العمل والعبادة، فلزكاء النفس، فإن النفس في هذا البدن محدودة عن درك حقائق الأشياء لا لكونها منطبعة في البدن بل لاشتغالها به ونزوعها إلى شهواته وشوقها إلى مقتضياته، ولا ينجي عن التضمخ بهذه الهيئات، إلا كف النفس عن الهدى والأعراض عن الدنيا بالإقبال على العلم والتقوى حتى تتقطع علائقها عن الأمور الدنيوية وهي في الدنيا وتستحكم علاقتها مع الأمور الأخروية فإذا مات كان كالمتخلص من سجن والواصل إلى جميع مطالبه وهي جنته.

وملخص ما قالوه في هذا الوجه إنه «ولأجل أن تبقى النفس بعد الموت بقاءاً سرمدياً في لذة وسعادة معلقة، فهي في حاجة إلى القوة العقلية التي غذاؤها ولذتها إنما تتم في إدراك المعقولات.

وإنما يحجب النفس من الاطلاع على المعقولات هو البدن وشواغله فلا بد من الاستغناء عنه لإدراك السعادة النهائية المطلقة.

٣ ـ قالوا: إن ما ورد في الشرع من الصور الحسية[3] فالقصد به ضرب

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٢) هذا باعتباره لذة عقلية.

(٣) قوله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة أنتم.. فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾

الأمثال لقصور الأفهام عن درك هذه اللذات فمثل لهم ما يفهمون، ثم ذكر لهم أن تلك اللذات فوق ما وصف لهم.

٤ ـ وقالوا: إن العقل دلّ على استحالة بعث الأجساد، إذ تقدير العود إلى الأبدان يكون على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقال أن الإنسان عبارة عن البدن[١] والحياة عرض قائم به والنفس التي هي قائمة بنفسها ومديرة للجسم فلا وجود لها[٢] وأما الموت فمعناه انقطاع الحياة فتنعدم[٣] والبدن ينعدم أيضاً، ومعنى المعاد، هو إعادة الله تعالى للبدن الذي انعدم، ورده إلى الوجود. وإعادة الحياة التي انعدمت. . . أو يقال أن مادة البدن تبقى تراباً ومعنى المعاد أن يجمع ويركب على شكل آدمي وتخلق فيه الحياة ابتداءاً وهذا ظاهر البطلان أيضاً. . »[٤].

لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن، فاستئناف خلقهما إيجاد لمثل ما كان، لا لعين ما كان بل العود المفهوم هو الذي يفرض فيه بقاء الشيء وتجدد الشيء، كما يقال، فلان عاد إلى الأنعام أي أن المنعم باق وترك الأنعام ثم عاد إليه، أي عاد إلى ما هو الأول ولكنه غيره بالعدد فيكون عوداً بالحقيقة إلى مثله لا إليه. .

كان لم يكن شيء باقياً، وشيئان متعددان متماثلان يتخللهما زمان لم يتم اسم العود[٥].

وهذا مجمل ما كان من القسم الأول واعتراضهم عليه. . .

---

(١) وقد أوضحنا ذلك في بعض فصول الكتاب.

(٢) النفس وجوهر قائم بنفسه وقد أكد القرآن الكريم في مواضع متكررة على وجوده.

(٣) أوضحنا في بعض فصول الكتاب، إن نظرية الانعدام إن كان يقصد بها الفناء فهي باطلة وإن كان بمعنى التحول والتقلب فلا مانع منها.

(٤) الكلام لا زال للفلاسفة أنفسهم.

(٥) كتاب تهافت الفلاسفة.

القسم الثاني..

«فهو أن يقال، أن النفس موجودة وتبقى بعد الموت ولكن يرد البدن الأول بجميع تلك الأجزاء بعينها».

وهذا ظاهر البطلان أيضاً[1] إذ الغرض هو تقدير بقاء النفس وردها إلى ذلك البدن بعينه، فهو لو تصور لكان معاداً، أي عوداً لتدبير البدن بعد مفارقته، لكنه محالٌ.

إن بدن الميت يستحيل تراباً أو تأكله الديدان والطيور، ويستحيل دماءاً وبخاراً وهواءاً. .

لكن إذا فرض ذلك اتكالاً على قدرة الله تعالى فلا يخلو: «إما أن يجمع الأجزاء التي مات عليها فقط، فينبغي أن يعاد الأقطع ومجذوع الأنف والأذن وناقص الأعضاء كما كان. وهذا مستتبع لا سيما عند أهل الجنة، وهم الذين خلقوا ناقصين في ابتداء الفطرة، فإعادتهم إلى ما كانوا عليه من الهزال عند الموت في غاية النكال.

وأما جمع جميع أجزائه التي كانت موجودة في جميع عمره، فهو محال في وجهين:

أحدهما: إن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان، وقد جرت العادة به في بعض البلاد ويكثر وقوعه في وقت القحط. فيتعذر حشرها جميعاً، لأن مادة

---

(١) لا زال الفلاسفة يردون على القول بالعود الجسماني.

واحدة كانت بدناً للمأكول، وصارت بالغذاء بدناً للآكل ولا يمكن رد نفسين إلى بدن واحد.

الثاني: إنه يجب أن يعاد جزء واحد، كبداً وقلباً، ويداً ورجلاً، فإنه ثبت بالصناعة الطبية أن الأجزاء العضوية، يتغذى بعضها على غذاء البعض، فيتغذى الكبد بأجزاء القلب فنفرض أجزاءاً معينة قد كانت مادة لجملة من الأعضاء فإلى أي عضو تعاد؟![1] بل يلزم منه محال ثالث، وهو أن النفوس المفارقة للأبدان، غير متناهية، والأبدان أجسام متناهية فلا تفي المواد التي كانت مواد الإنسان بأنفس الناس كلهم بل تضيق عنهم...

---

(١) إن جميع ما قاله الفلسفي المعترض في قسمه الثاني قد ذكر مفصلاً في الفصل الثاني، الشبهة الرابعة ـ شبهة الأكل والمأكول ـ وقد ذكرنا فيها ما يجب أن يقال في رد أمثال هذه الأقاويل. وأما قضية النفوس الغير متناهية والمواد المتناهية، فإنه ينتقض بما تعرضنا إليه من موضوع الحركة الجوهرية المذكورة في هذا الفصل والأصل المعلوم (كل شيء وصل حده عاد لضده).

القسم الثالث

وهو رد النفس إلى البدن الإنساني من أي مادة كانت وأي تراب اتفق فهو محال وباطل من وجهين[1].

أحدهما: إن التراب لا يقبل التدبير، تدبير النفس ما بقي تراباً... وبذا نكون قد أكملنا من ذكر مجمل وملخص ما قيل في سبيل إنكار البعث الجسدي على لسان الفلاسفة وقد تصدى الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة لكل تلك الحجج الواهية، وسنحاول اختصار الردود وذكرها متضمنة ومقترنة ببعض ما وجدناه مناسباً في أن يكون رداً لما قيل لوجود بعض الفراغ في أجوبة الغزالي نفسها وكان محله في الحاشية... والله الموفق.

قال: إنما ذكر في الإيراد الأول والثاني ليس فيه ما يخالف الشرع، فإننا لا ننكر أن في الآخرة أنواعاً من اللذات أعظم من المحسوسات.

لكن من المانع من تحقق الجمع بين السعادتين الروحانية والجسمانية، وكذا الشقاوة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[2] أي لا يعلم جميع ذلك.

وقوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا

---

(١) الكلام باستمرار للفلاسفة المتبنون لفكرة المعاد الروحاني دون الجسماني، وفي نفس المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» كذلك فإن وجود هذه الأمور الشريفة لا يدل على نفي غيرها بل الجمع بين الأمرين أكمل، والموعود به أكمل الأمور، وهو ممكن فيجب التصديق به[1].

---

(١) يجد القارىء الكريم أن الإمام الغزالي اكتفى بالرد على بعض الوجوه دون غيرها وقد وجدنا الذاكرة قد أسعفتنا إلى ما قد يكون شافياً وغنياً بالفائدة. . . أولاً.
قالوا. . إنما كانت لذة إدراك المعقولات لذة مميزة مستحسنة مفضلة أسند العرف لأجل تحكم جهاز السيطرة العقلية بها، ولأجل كون القوة العقلية مستمرة في سلامتها. أما إذا عرض عليها عارض أفقد العقل قدرته على التصرف السليم كانت النفوس في غاية التعاسة وسوء التصرف. . .
وأصبحت مفضولة لا فاضلة.
وعلى ضوء ما ذكرنا نقول: إن البدن، شواغله وحواسه وشهواته أن تحكم بها العقل وكانت في حدود المعقول كانت من أفاضل اللذات عند الفرد، والدليل على ذلك نزوع والأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام إلى الحث على أن يكون عمل الفرد لدنياه بعيداً جداً دون النظر إلى الخلف «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» بما لا يكون خروجاً عن حد المعتدل بل حثوا عليها، فكما كان العقل جهاز تحكم وسيطرة على لذات النفس فأحسن إخراجها يكون كذلك أن توجه إلى لذات البدن أجمع. .
ثم قالوا: إن اللذات العقلية أشرف من اللذات الجسمانية.
نقول: إن هذا مشكوك فيه، ومصادرة عن المطلوب، وفساد دليله واضح.
أما الأول، في قوله: إن حال الملائكة أشرف من حال السباع. .
فإن ذلك لم يكن مستنداً إلى اجتناب الملائكة للجماع والأكل والشرب، واقتصار البهائم في حياتها على الجماع والأكل والشرب. إنما فضلت الملائكة على البهيمة لقربها من الله عزّ وجلّ ولأنها الوساطة بينها وبين عباده ولأنها خلقت وخلق معها فعلها المنزه. فهي مجبولة على الطاعة والإذعان لله سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك أنا نجد ملكاً آخر يتمتع بعالم الروح المجرد من الجسد ذلك العالم الذي جعله الفلاسفة بتجرده وابتعاده عن الجسد منعاً للفضيلة والرحمة. كان قد حقت عليه لعنة الله وأنه سيحشر إلى جهنم خالداً فيها ألا وهو إبليس الرجيم قال تعالى: **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الخاسرين﴾** [البقرة: ٣٤].
ولذا أن الإنسان لو سيطر عقله على شهواته ولذاته وتحكم بها لكانت أشرف من الملائكة لأنها (أي الملائكة خلقت مطيعة مجبرة. وخلق الإنسان مختاراً **﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾** [الإنسان: ٣].
وإن انحرف الإنسان نحو المعصية تاركاً قواه الشهوانية دون سيطرة من جانب العقل، =

وأمـا مـا قيل وذكر في الأمر الثالث من أن ما ورد في الشرع (من أن الآيات الدالة على وجود النعيم والعذاب الجسدي) أمثال ضربت على حد أقسام الخلق «لأجل عدم القدرة والقابلية البشرية آنذاك على تفهم العذاب والنعيم النفسي شهوة لهم بما يحسونه من ألم واستحسان» أمثال على حد فهم الخلق. . . فقد أجاب الغزالي عنه بقوله: إن التسوية بينهما تحكم، بل هما يفترقان من وجهين:

وهما: إن الألفاظ الواردة في التشبيه، تحتمل التأويل على عادة العرب في الاستعارة وما ورد في وصف الجنـة والنـار بلـغ مبلغاً لا يحتمل التأويل، فـلا يبقـى إلا حمـل الكـلام علـى التلبيـس، بتخيل نقيض الحق، لمصلحة الخلق، وذلك ما بتقدس منصب النبوة.

الثاني: إن أدلة العقول، دلت على استحالة المكان والجهة والصورة، ويد الجارحة وعين الجارحة، وإمكان الانتقال والاستقرار على الله سبحانه وتعالى، فوجب التأويل بأدلة العقول. وما وعد به من أمور الآخرة، ليس محالاً في قدرة الله تعالى فيجب إجرائه على ظاهر الكلام بل على فحواه الذي هو صريح فيه. .

= كان أخس من الحيوانات، لأنها خلقت على ذلك لفقدانها القوة العقلية، ولأجل هذا كانت الأشرف والأفضل. .
وأما الثاني: وهو قوله أن الإنسان «قد يؤثر» فإن «قد» إن دخلت على الفعل المضارع أفادت التقليل، تقليل نسبة وقوع الحدث في الخارج.
ثم ماذا تقولون في من آثر مضاجعة بنت في الثامنة عشرة من عمرها، أي في عمر الورد وفي ريعان نضجها، على لذة مجالسة أولاده وزوجته عند طعام الغداء بعد نهار مليء بالعمل كي يتسامر معهم ويؤنسهم ويعرف عنهم ما يشكون منه وما يرغبون به.
وماذا تقول في من آثر نفسه في ارتداء معطف الفرو الجديد لتعرضه وجماله وحسن هيئته على منحه لجاره البائس الذي عدم الملبس الواقي له من شدة برد الشتاء.
ألم تكن لذته بارتدائه لذة جسدية، ولذة منحه إياه «أي الفقير» لو تمت لذة روحية نفسية.

وما ذكر في الأمر الرابع: على استحالة بعث الأجساد فهو أن تقدير العود للأبدان لا يخلو من أحد صور ثلاثة، أو لا يخلو من أحد مذاهب ثلاثة...

١ ـ أن يقال أن الإنسان عبارة عن البدن والحياة عرض قائم به، والنفس لا وجود لها.

٢ ـ أن يقال أن النفس موجودة وتبقى بعد الموت ولكن يرد البدن بجميع أجزائه ويعينها...

٣ ـ يقال أن النفس ترد إلى بدنٍ إنساني من أي مادة كان وأي تراب اتفق...

وقد اعترض الغزالي على منكري الوجوه الثلاثة بما ملخصه... بم تنكرون على من يختار القسم الأخير ويرى أن النفس باقية بعد الموت، وهي جوهر قائم بنفسه، فإن ذلك لا يخالف الشرع بل قد دلّ عليه الشرع كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[1].

ربما ورد من الأخبار بشعور الأرواح بالخيرات والصدقات وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر وغيره، وكل ذلك يدل على البقاء، ثم قد دل مع ذلك على البعث والنشور بعده، وهو بعث البدن. وذلك ممكن يردها إلى البدن، أيُّ بدن كان سواء أكان من مادة البدن الأول أو من غيره، أو من مادة استؤنف خلقها فإنه هو بنفسه لا ببدنه، إذ تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر إلى الكبر بالهزال والسجن، ويتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك.

هو ذلك الإنسان بعينه فهذا مقدور لله تعالى ويكون ذلك عوداً لتلك النفس.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

وما ذكرتموه من استحالة هذا تكون النفوس غير متناهية وكون المواد متناهية محال لا أصل له، فإنه وبناءاً على قدم العالم. فالنفوس المفارقة للأبدان عنده متناهية وليست أكثر من المواد الموجودة وإن سلم إنها أكثر فالله تعالى قادر على الخلق واستئناف الاختراع، وإنكاره. إنكارٌ لقدرة الله تعالى على الأحداث.

واستمر الغزالي مسترسلاً في ردوده على جمهور الفلاسفة بشكل مطول جداً وقد اخترنا ما فيه بغية السائل والمتتبع، كما قد ذيّلنا بعض أجوبته في الحواشي بما يصلح أن يكون جواباً مستقلاً يفي بالغرض...

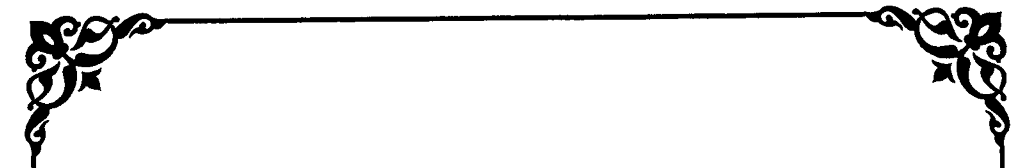
ومما تقدم نكون قد ذكرنا ما يجب أن يذكر ويقال بشأن بعث الأجساد وعدم المانع منها، فقد توفرت الأدلة القرآنية والسنة النبوية الشريفة والحجة الفلسفية إضافة إلى استنتاجات العلم الحديث بشكل لا يجعل ولا يترك أي مجال للشك في أن الإنسان في حقيقته ذاهب للتحول بين الأضداد باستمرار، وأنه لا ينعدم شيء من الأجساد بالمرة بل تتفرق أجزائها ويحفظ الله تلك الأجزاء الأصلية ثم يضمها إليه ويعيدها.

وقد ذكرنا استطراداً بعض صحيح المنكرين للمعاد من أصله.

نعود الآن من جديد لإكمال ما قيل في استحالة عودة المعدوم وأن الإنسان صائرٌ إلى الفناء لإقفال حلقة هذا الموضوع...

ولكن هذه المرة نروم الدخول إلى عالم الأثير داخل جسد الإنسان لإثبات بقائه وعدم فنائه هو الآخر.





الفصل الثاني

القسم الثالث

عالم الأثير في الإنسان لا يقبل الفناء

أدلة تجرد النفس:

أ ـ تجرد عارضها.

ب ـ عدم انقسامها.

جـ ـ إدراك غير المتناهي.

د ـ عدم الكلل.

هـ ـ قدرتها على تعقل الضعيف.

و ـ القدرة على تخيل غير الموجود.

القسم الثالث

عالم الأثير في الإنسان لا يقبل الفناء

فنقول إن الطريق إلى القول بعدم فناء الروح لا بد من أن يمر بصورة مختصرة لتحليل موضوع المتجرد والمادي، وأن الروح عنصر متجرد.

وفي البداية نقول... إن كل شيء لا يكون خاضعاً لنواميس المادة ولواحقها فهو متجرد.

وقد ذكر العلامة الحلي (رض) في شرح التجريد: «أن النفس الإنسانية جوهر» أي ليست جسماً من الجسمانيات وقوله «جوهر مجرد» أي غير محتاجة إلى المادة في ذاتها وإن احتاجت في فعلها إلى المادة، فإن المجردات على أقسام.

١ ـ ما يكون محتاجاً إلى المادة مطلقاً لا في ذاته ولا في فعله، فهو منزه عنها مطلقاً، وهذا منحصر في الله تعالى.

٢ ـ ما لا يكون محتاجاً إلى المادة في الذات ولكن في فعله يحتاج إلى المادة، كالنفوس مطلقاً نباتية كانت أم حيوانية. فمثلاً، النفس الإنسانية هي مجردة في ذاتها عن الماديات فليست كالأجسام. ولكن لا تفعل أفعالها إلا بوساطة القوى الظاهرية الجسمانية كالبصر والسمع والذوق ونحو ذلك، ثم أن جميع المجردات بأقسامها غير خاضعة للفنا أبداً..

وقد ذهب الشيخ المفيد من الإمامية وبني نوبخت منهم والغزلي من الأشاعرة إلى ذلك المذهب حيث قالوا إن «النفس جوهر مجرد ليس بجسم ولا جسماني» وقد نصبوا أدلة عديدة على تجردها، ناقشها بعضهم، وسلم البعض الآخر بها، ونحن إذ نرى في ذكرها بعض الفائدة للقارىء اخترنا بعضها مع محاولة تبسيطها وجعلها قريبة من الذهن قدر الإمكان. . .

أدلة تجرد النفس

الدليل الأول.. «تجرد عارضها»..

لا مفــر مـن وجـود سنخية بين كل عارض ومعروضه، أما أن يكون أحدهمـا مادياً والآخر مجرداً فمن المحال حلول أحدهما في الآخر. . . وإذا عرفنا ذلك فلنأتي إلى أحد عوارض النفس ألا وهو العلم، فإن من يقال له عالم أو جاهل فهو بملاحظة نفسه، فالعالم نفسه عالم وعكسه عسكه.

ومتعلقات العلم أمور مجردة لا تخضع لقوانين ونواميس المادة. ومقصودنا من متعلقات العلم هو المعلومات فإنها مجردة ليست بمادية. وإذا كان متعلق العلم مجرداً فالعلم المتعلق بها يكون لا محالة مطابقاً لها، فيكون مجردة لتجردها، وبما أن العلم يحمل في النفس وموطنه هو النفس فلا بد من مطابقة كل من الحال والمحلول، فلا مفر من اعتبار النفس مجردة[١].

وقد أشكل بعض الفضلاء على الدليل الأول بما مفاده: «أنكم إن قلتم أنه لا بد من السنخية بين الحال والمحلول، وقد افترضتم أن النفس قد حلّت في بدنِ الإنسان، فالإنسان ببدنه مادي بحت وبنفسه روحي مجرد تماماً فكيف حل المجرد في المادي. فإما أن لا تقولوا بشرط السنخية بين الحال والمحلول أو نقول بعدم تجرد النفس. . .».

ولكن المستشكـل غفـل عـن أن عـلاقة الروح بالبدن ليست هي علاقة حال ومحلول بل علاقة تدبير وإرشاد بينهما. . .

---

(١) شرح تجريد الاعتقاد، ص ١٠٩ مطبعة النعمان.

الدليل الثاني: «عدم انقسامها»[1]..

فإن ما يميز المادي عن المتجرد هو قبوله للقسمة والتشطير. فهذا الكتاب قابل لأن يجزأ، وذلك الجسم يرضى بأن يقطع، وتلك الطابوقة سمحت بأن تحطم وهكذا..

بخلاف النفس فلو شطرنا جسد إنسانٍ حي إلى نصفين لا نفصل الجسد، ولكن النفس لم تشطر إلى جزءين جزء في الميت وآخر في الحي... ولنأخذ مثالاً آخر اعتماداً على العبارة السابقة «إن العارض لا بد من أن يحل في معروض مثله» نقول: «العلم بحد ذاته لا يمكن تشطيره. فلو قال إنسان إن لي إلماماً نوعياً بعلم الطب والكيمياء والفلسفة...».

ففي مثله لا يمكن أن يقال له أن شطراً من علمه يقع في جانبه الأيمن وآخر في جانبه الأيسر، وهكذا. فإن تشطير العلم بالعلم ممنوع، نعم إن التشطير المقصور إنما هو في المعلوم لا العلم... وإذا كان العلم غير منقسم فمحله أعني المعروض وهو النفس كذلك..

الدليل الثالث: «إدراك غير المتناهي»[2]

إن ما يميز النفس عن غيرها من الماديات هو أنها تقوى على ما لا تقوى عليها الماديات من الأشياء. ومن ذلك هو إدراكها لغير المتناهي، فإن النفس من شأنها القدرة على تعقل الأعداد الغير متناهية، ومن شأنها أيضاً أن تتصور أبعد منطقة في العالم، وإدراكها هذا يستحيل تصوره وإمكان صدوره من أي مادي في الكون فهذه العين لا يمكنها أن تبصر إلا ما حدد لها. وذلك

(١) شرح تجريد الاعتقاد، ص ١٨.
(٢) شرح تجريد الاعتقاد، ص ١١٠.

لأن وجودها ضيق فلا تعطي إلا إيجاداً ضيقاً، وهذه النار لا تحرق إلا من كان بجنبها ومماساً لها، وتلك الشمس لا تشرق إلا على النصف المقابل لها. . .

الدليل الرابع: «عدم الكلل»..

إن المادة قابلة للكلل وللهرم، أما النفس فهي بعكس ذلك تماماً فإن الإنسان كلما طال عمره وازداد في السن كلّت أعضاءه وفسدت، فإن القوة الجسمانية مع توارد الأزمان عليها سوف تموت، أما القوة النفسانية فهي بالضد من ذلك فهي ترتقي إلى الأعلى تقوى حال ضعف الجسم كما في وقت الشيخوخة، فانتفت تبعيتها للجسم في حال ضعفه وذلك يدل على أنها ليست بجسمانية[١].

الدليل الخامس: «قدرتها على تعقل الضعيف بعد القوى»

وتقرير ذلك: إن الفعل إذا أعقبه آخر ضعيف لم يكن لنا أن نشعر به فحينما نسمع صوتاً قوياً يعقبه آخر ضعيف لا تسمع به. وعندما ننظر ملياً إلى قرص الشمس ليس بوسعنا أن ننظر ونشعر بنور صادر من فتيل، وهذا بخلاف النفس البشرية فبوسع من كان يدرس نظرية العالم آينشتاين النبيه، أن يجيب عن سؤال مفاجىء بإعراب «جاء زيد» في الحال دون أن يتلكأ[٢].

الدليل السادس: «القدرة على تخيل غير الموجود»

هذه هي الحجة التي عول عليها أفلاطون في تجرد النفس. وقد قررها بعض أهل التحقيق من الإسلاميين وتقريره:

---

(١) نفسه، ص ١١١. شرح تجريد الاعتقاد.

(٢) نفسه.

إنا نتخيل صوراً لا وجود لها في الخارج كبحر من الزئبق وجبل من الياقوت، كما نميز بين هذه الصور الخيالية وبين غيرها فهذه الصور أمور وجودية، فكيف لا يكون كذلك ونحن إذا تخيلنا زيداً وشاهدناه حكمنا بين الصورتين المحسوسة والمتخيلة فرقاً.

ولولا أن تلك الصور موجودة لم يكن الأمر كذلك ومحل هذه الصور يمتنع أن يكون شيئاً جسمانياً أي من هذا العالم المادي، فإن حملة بدننا بالنسبة إلى الصور المتخيلة لنا قليل من كثير فكيف تنطبق الصور العظيمة على المقدار الصغير، وليس يمكن أن يقال أن بعض تلك الصور منطبعة في أبداننا وبعضها في الهواء المحيط بنا، لأن الهواء ليس من جملة أبداننا ولا آلة لنفوسنا في أفعالها وإلا لتألمت نفوسنا بتفرقها وتقطعها. ولكن شعورنا بتغيرات الهواء كشعورنا بتغيرات أبدننا فبان أن محل هذه الصور أمرٌ غير جسماني وذلك هو النفس الناطقة فثبت أن النفس الناطقة مجردة[١].

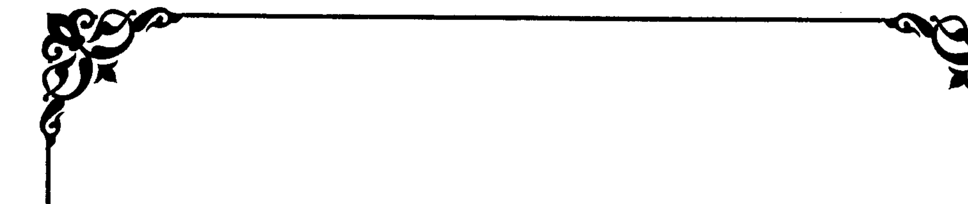
ولا يخفى أن هذا يتجرده كان هو دليل أفلاطون على تجرد النفس، ولذا فهو متضمن لبعض من أدلتنا السابقة.

وبعد كل ما قلناه وأوضحناه، فإن من تأمل وتدبر كل هذه المقدمات والفصول لم يبق له شك أو ريب في مسألة المعاد وحشر النفوس مع الأجساد بعينها وبدون إضافة مباينة لها كما ذهب إلى ذلك جمع من الفلاسفة.

انتهى

---

(١) الأسفار، ج١، ص ٤٧٩.



الفصل الثاني

القسم الرابع

الشبهات والجدل

١ ـ شبهة ابن أبي العوجاء.

٢ ـ شبهة الآكل والمأكول.

٣ ـ شبهة الزمن.

٤ ـ شبهة التجربة... وجه آخر لإنكار البعث.

٥ ـ التشفي... وشبهة القبح في العقاب.

٦ ـ الخلود... وشبهة القبح في العقاب.



القسم الرابع

الشبهة الثانية

شبهة ابن أبي العوجاء

لقد استمر المغفلون على مر الدهور يتبع بعضهم بعضاً، ويلقن بعضهم الآخر ما علمه السابقون الذين يطمحون في عودة الجاهلية، وعودة روح التكفير والإباحية السابقة. فلم يجدوا ما يحيدوا به البلهاء عن طريق الصواب طريقاً أقصر من تضليل فكرة المعاد في نفوسهم لأنها الوقود والغذاء للنفس البشرية.

ويستمر صوت الحق ليكون الشوكة في عيون المضللين، فنرى أسياد العلم والفلسفة الأئمة الأطهار عليهم السلام في نزاع دائم ومستمر مع قوى الباطل لكي لا يتركوا لهم المجال ليرسخوا دعائم حرية الفكر المزيفة... وها نحن نلتقي من جديد لنرى ما ذهب إليه مزيّف آخر (ابن أبي العوجاء) من أجل إنكار الفكرة، وكما هو ديدنهم في الشبه السابقة ـ السبل الملتوية ـ فهم لا يجرؤ أبداً سلوك الطرق المستقيمة الواضحة في طرح الشبه لأنها ما أسرع أن تنكشف ويبين زيفها..

قال... (ابن أبي العوجاء) مستنكراً على الإمام الصادق عليه السلام عذاب الآخرة وحرق الأجساد وحيث يتم له إنكار فكرة العقاب فلا مبرر للجزاء حينها، ولا موجب للمعاد أساساً بعدها، لأن الأساس في فكرة المعاد هو مبدأ الثواب والعقاب.

روي عن حفص بن غياث القاضي قال: كنت عند سيد الجعافرة، **جعفر بن محمد عليه السلام لما قدمه المنصور فأتاه ابن أبي العوجاء وكان ملحداً فقال**: ما نقول في هذه الآية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[1].

هب هي هذه الجلود عصت فعذبت فما بال الغير؟

قال أبو عبدالله عليه السلام: **«ويحك ـ هي هي وهي غيرها»**[2].

وخلاصة الشبهة: إن الآية القرآنية قد نصت على أن النار ستصلي من جحد وكذّب بآيات الله، وسوف تستمر في تعذيبهم حتى إذا نضجت واحترقت وتيبّست جدد الله جلودهم هذه جلوداً غيرها وهكذا..

إذا سلمنا أن الجلد الأول كان ممن اشترك في تحقيق المعصية فكان له قسط من العقاب ولكن... ما ذنب الجلد الحديث الذي لم يقترف شيئاً.

ولو تأملنا جواب الإمام الصادق عليه السلام هي هي، وهي غيرها ـ لوجدنا المعجزة ما وجدت إلا لتكون الحقيقة الظاهرة للعيان هنا. وكان الجواب بإجماله ووضوحه خير جواب لأتفه سؤال.

وقبل أن نشرع بإيضاح الدرة المصغرة هذه لا بد من أن نؤكد على التسليم بأمور ثلاثة:

١ ـ إن المعاد جسماني وروحاني، كما أوضحنا ذلك في القسم الثاني من شبهة استحالة عودة المعدوم.

٢ ـ إن الجسم الإنساني له صورة وهيولا.. كما بدا ذلك جلياً وواضحاً

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٢) الميزان، ج٤، ص ٣٨٥، الاحتجاج، ج٢، ص ١٠٤.

في الموضوع السابق ـ المادة لا تقبل الفناء ـ وتحت عنوان الحركة الجوهرية.

٣ ـ ثبوت الأصل الموضوعي «شيئية الشيء بصورته لا بمادته».

وقد قصد من الأمر الثالث هذا هو الفصل الأخير لكل شيء وأن وحدة المادة محفوظة بوحدة الصورة، المقومة والمميزة لها. . .

ولا يخفى لمن تأمل القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾[1].

كيف أن الله سبحانه وتعالى احتج على من أنكر القدرة على الجمع بعد التفريق والإحياء بعد الإماتة، أنه تعالى قادر على إعادة بنانه «**والبنانة ـ هي واحد البان وهي أطراف الأصابع**».

فإن في أطراف الأصابع عند كل إنسان تكمن صورته المميزة له التي ينفرد بها عن باقي مخلوقات جنسه.

والمهم أننا لاحظنا أن الله سبحانه وتعالى لم يحتج على المنكر بالقدرة على إعادة خلق القلب وأوعيته وشرايينه المعقدة أو جهاز الدماغ بما له من عظمة أو غيرها من مكونات جسد الإنسان التي لا نشك ولو للحظة أنها أدق صنعاً وأكثر تعقيداً من البنان.

فلنا أن نتسائل إذا لِمَ أشارَ القادر تعالى بقدرته على إعادة البنان مع تركه لما هو أدحض منه حجة بحسب التصور الأولي؟

أقوال. . . إن جواب ذلك واضح لمن تأمل ردّ الإمام الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء، عندما طلب منه الإفصاح عما أشار إليه بقوله ـ هي هي وهي غيرها ـ.

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٣ ـ ٤.

قال عليه السلام: «أرأيت لو أن رجلاً عمد إلى لبنة فكرها، ثم صب عليها الماء وجبلها ثم ردها إلى هيئتها الأولى ألم تكن هي هي - وهي غيرها»[1].

لقد أراد الإمام الصادق عليه السلام برده، هذا إشارة إلى حقيقة أشرت إليها وهي أن الصورة هي الأساس ثم بقاء المادة محفوظة.

وفرق البنان عن القلب تكمن في البنان لا في القلب فيكون القرآن الكريم قد أشار إلى أن عودة الصورة عودة للعظام المتفرقة وغيرها...

وزيادة في الإيضاح سنضرب أمثلة على ذلك من الواقع البسيط الذي نعيشه.

كلمة الموت... بمفردها لو وضعتها على مائدة التشريح وفصلت الحروف - م، و، ت - عن بعضها البعض الآخر، بل قمت بتمزيق الورقة التي كتبت عليها ثم أعدتها بكتابة حروف أخرى غير الأولى إلا أن الصورة فيها واحدة ألا وهي - م، و، ت -.

أتجد تغير حصل في المعنى قبل الفصل وبعد التخريق وبعد الإعادة... ولنأخذ مثالاً آخراً...

ألا وهو الشكل الهندسي... فإننا لو قمنا بهدم غرفة معينة ذات أبعاد معينة خاصة ثم عدنا لنجدد بنائها، أتجد لو أن متفحصاً ومتتبعاً شاهدها أولاً أيجد فرق بينها وبين الجديدة...

ولنقف قليلاً متأملين ما حققه علم الفسلجة وما توصل إليه بالنسبة لعالم الخلية عند الإنسان.

«إن معظم خلايا الجسم تنمو وتتكاثر باستمرار، فالخلية الجديدة تأخذ

---

(١) الميزان، ج٤، ص ٣٨٥.

مكان الخلية القديمة التي تموت، وهذا هو الذي يحافظ على التركيب التام من الخلايا في الجسم.

إن دورة حياة الخلية التي لا تمنَع هي ما بين ١٠ ـ ٣٠ ساعة من تكاثر (انقسام) إلى تكاثر آخر في حين أن فترة الانقسام نفسها لا تتجاوز النصف ساعة على أية حال، فإن داخل جسم الإنسان يوجد ودائماً عوامل مانعة ومسيطرة تعمل على إيقاف أو إبطاء دورة الحياة هذه الغير متوقفة..

وفي الواقع أن الخلايا في الجسم البشري تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: ما يتحدد عدده في غضون الفترة الجنينية حيث يبقى عددها ثابتاً حتى نهاية حياة الإنسان وأمثلتها هي الخلايا العصبية والخلايا العضلية..

ثانياً: الخلايا التي يثبت عددها خلال الفترة الجنينية ولكن لها القدرة على الانقسام إذا ما تعرضت لأي ضرر «Injury disedse, distrcct».

ثالثاً: الخلايا المستمرة في عملية الانقسام وتتضمن عدة أنواع منها:

أ ـ الخلايا الجلدية «epitheliy cells» والتي تكون مستمرة في عملية الانقسام. ولكن تعاني هذه الخلايا من الموت وطرحها من الجسم وبصورة مستمرة.

ب ـ خلايا نخاع العظم الأحمر والأصفر، والتي تكون ذات سرعة عالية جداً في الانقسام مجهزة في الدقيقة الواحدة ملايين الخلايا «كريات الدم الحمراء».

جـ ـ الخلايا الموجودة في الطحال والتي تزداد سرعة انقسام خلاياها بمداهمة الجسم بأجسام غريبة.

د ـ الخلايا العظمية فإنها تعدُّ من النوع المتجدد، ولكن تتوقف سرعة

انقسامها على التغذية وكذلك على وجود ضرر في العظم عند حصول حالة كسر أو ما شابه ذلك[1].

فأنا وأنت لو تأملنا من يجلس بجانبنا لا نجد فرقاً فيه بين أمس واليوم، وأن زيداً الذي تبدلت خلاياه الجلدية وتلبس بأخرى هو نفسه زيد دون تغير أو تبدل في حقيقته، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يوضح أن ما به قوام الإنسان ليس هو إلا من عوارضه الثانوية وإنها ليس لها أي دخل في شيئية الشيء وماهيته، إذ أنه يبقى هو هو ما دام فصله الأخير باق، ما دامت صورته والنفس الناطقية والقدرة العاقلة فيه محفوظة..

نعم أن هذه العوارض كالجلود التي يكتسي بها بدن الإنسان والمتبدل عند كل زمن والتي لا تغير من ذات زيد هي صور كمالية له.

ومن هنا قال الإمام الصادق عليه السلام يبقى الإنسان المعذب هو ذلك الإنسان من دون تغير في حقيقته وماهويته حتى وإن اكتسى بطبقات جديدة.

وكلامك يا أبا العوجاء إلا مغالطة وسفسطة.

وخلاصة ما انحلت به الشبهة...

إنه هناك عوارض لا تستوجب الاختلاف الماهوي بحيث أنها لو تبدلت تلك العوارض واختلفت لكن مع المحافظة على الفصل الأخير «حقيقة الشيء» لما تحققت الإثنية، بحيث يقال أن المعاد غير الأول، ألا ترى أن زيداً الطفل وزيداً الشاب وزيداً الكهل مع تغير عوالمه البنية والنفسية والمكانية والزمانية يبقى زيداً بحيث لو رآه الرأي لقال، هو هو.

---

(١) علم الفسلجة الطبي لمؤلفه (Guyiou) الباب الأول، الفصل الثالث، ص ٣٦. التشريح الطبي لطلبة الطب.
«CLINICAL ANALOMY for MIDIAL STUDENI».

الشبهة الثالثة

شبهة الأكل والمأكول

إن من الشبه التي صيّرت الفلاسفة في عراك دائم وشجار طويل مع أصحاب الحق، والتي فتحت لمنكري فكرة المعاد كوةً صغيرة تمكنوا من خلالها أن ينفثوا فيها بعض غازاتهم السامة وأباطيلهم الواهية هي شبهة الأكل والمأكول.

وحاصلها. .

لقد آل جسد الإنسان بعد موته إلى مصير مجهول لا نعرفه، فقد أصبح قطعاً متناثرة في مشارق الأرض ومغاربها، فوجدت مختلف أنواع الحيوانات الباحثة عن قوتها فيه بغيتها، فلم تقتصر الكواسر على نهش جسده بل حتى أضعف تلك المخلوقات ـ النملة ـ استوى واشتد من جسد الإنسان جسدها. .

قالت وقد سلخ ابتسامتها الأسى ... صدق الذي قال الحياة غرور
أكذا نموت وتنتهي أحلامنا في لحظة ... ويصبح ذاك التراب نصير
وتموج ديدان الثرى في أكبدٍ ... كانت تموج بها المنى وتمور

وقد يكون مصير تلك الدواب والحيوانات إلى التراب بعد موتها فيعود جسدها تراباً من جديد.

وتدور الأيام والليالي لتحوّل الذرات والكوم من التراب إلى آنيةٍ من

الأواني تباع فيشرب بها الإنسان، وفي حقيقتها قد تكون تلك الآنية يداً أو جمجمة أو يد من جسد الإنسان..

وإلى هذا المعنى يشير الشاعر بقوله:

ذهبنا إلى القلّال نسعى كرامة	فهل تدرى أجدادٌ زيارة أحفادِ
وهل راع للسان عن كسر قلّة	إذا عرفوها من ضلوع وأعضاء
أعقباك يا دنيا قميص وطمرة	بحفرة أرض من خرابات زهاد

وقد تؤول تلك الكواسر والحيوانات إلى جيف تقذف بها الأقدار في مياه البحر فتكون طعاماً للأسماك التي سنأكلها يوماً ما، فتكون والحال هذه أجسامنا مكونة من مئات أجساد الغير..

وإلى هذا يشير الشاعر..

عالم الأحياء ما أفضعه	عالماً من حيوان ونبات
يتغدى بعضه من بعضه	فحياة غصبت ألف حياة

ونحن إذ نستعرض هذه الصور لا نشك فيها أبداً ولو للحظة واحدة بل أن الإمام علي عليه السلام: «أوضح ذلك موجزاً في خطبة له يقول فيها:

«أفبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعزيز الهلكى يتكاثرون... ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخالية، والربوع الخاوية، لقالت ذهبوا في الأرض ضلالاً، وذهبتم في أعقابهم جهالاً تطأون في هامهم وتستنبتون بأجسامهم وتسكنون فيما ضربوا وترتعون فيما لفظوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم نوائح وبواكي»[١].

نعم فقد تنمو من ذرات أجسادنا وعليها أعشاب لطالما عشنا عليها فرحين نتلهى بها كما تلهى بها غيرنا من قبل.

---

(١) نهج البلاغة.

ولا يترك عمر الخيام هذا المعنى بل تراه مبادراً يشير إليها في رباعياته فيقول:

أن تجلو لدي الربيع كف السحب ... خدّ الأزهار ابتدر للشرب
فاليوم بذي الروضة ترتاح ومن ... ذراتك تزدهي غداً بالعشب

أما الأشكال المطروح في المقام (فمفاده) أنه إذا كان يوم القيامة ويوم الحساب:

أولاً: كيف يتسنى لله سبحانه وتعالى بعد ذلك جمع تلك الأجزاء المتفرقة هنا وهناك، فهي قطع متناثرة وأشلاء مبعثرة ورميم متفرق؟

وإلى هذا يشير المعري:

خفف الوطء ما أظن أديم ... الأرض إلا من هذه الأجساد

أبو العلاء المعري

ولو أمعنا النظر في مجمل ما قالته الشبهة لوجدنا أن المتوهم لم يكن قد قال ما قال لو لم يكن شاكاً في قدرة الله سبحانه وتعالى على الجمع والتشكيل ثم الأحياء، ولكن القرآن الكريم بادر للفور في التصدي لهذا التصور الساذج الذي عسر عليه التفريق بين قدرة الإنسان المخلوق وقدرة الله الخالق، فقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[١].

كيف وهو: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٢].

فإنه قادر على الجمع بالضرورة.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٠.

وقد ورد في تفسير هذه الآية أن الشجر الأخضر هذا يقصد منه الشجر المطفيء للنار بحسب[1] النشأة الأولى وطبيعته الذاتية حيث جعله ناراً محرقة فبين سبحانه وتعالى أنه من قدر على أن يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادة النار للرطوبة قادر ولا شك على جمع الأشلاء ورد الأعضاء[2].

ثم أليس «الذي أنشأها أول مرة»[3] أي أنشأ العظام من اللاشيء قادراً ولا شك بجهد أقل ـ لو تصورنا أن ذلك ممكن في حق الله تعالى أن يعيدها ثانية . . .

ثم ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[4] فمن استصغر خلقه وإنشاءه ابتداءاً فليتدبر خلق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن فإنه سيعود لجانب الحق ولا شك . .

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[5].

ولنا مع القرآن الكريم لقاء آخر بهذا الصدد سبق وأن أوضحناه قال تعالى:
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا . . . ﴾[6].

وما بعث الأجساد ذات الأشلاء المتناثرة والمتداخلة إلا كبعث أجزاء هذه الطيور الممتزجة حتى كأنها صارت كومة واحدة.

---

(١) الشجر الأخضر، المرخ والعفار وهما شجرتان يتخذ الإعراب زنودها منه.
(٢) الميزان.
(٣) سورة يس، الآية: ٧٩.
(٤) سورة يس، الآية: ٨١.
(٥) سورة غافر، الآية: ٥٧.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٠ ـ ٢٦٠.

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

ثانياً: لو قلتم بعودة كل جزء لمحله فلا يبقى للآكل أجزاء يعاد منها، إذ كما أسلفنا أن في كل منا العديد ثم العديد من أعضاء غيرنا ومن لحوم الموتى من بني البشر بالشكل الذي صورنا في استعراض الآكل والمأكول. فقد اشتد لحم البعض من لحم غيره ومنه العود، عندما يشاء الله المقاصة بين عباده فيثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه.

أين ستكون الأجزاء المأكولة هذه؟

أتبقى في بدن الآكل كأعضاء وأجزاء طبيعية يختص بها؟

فلا يبقى إذن للمأكول أجزاء يخلق منها ويعاد بها، ونحن قائلون بأن المعاد يوم القيامة، كل من الروح والجسد.

وإن قلنا بعودة كل جزء لمحله وإلى بدنه الأصلي.

فلا يبقى والحال هذه للآكل ـ بعد أن فصلت أجساد غيره منه ـ جسد أو أجزاء يخلق منها بعد أن استوى جسده من أبدان غيره. . .

أجابت الآية للفرد قالت: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾[2].

فإن من قدر على خلق السماوات والأرض لا يضيره إلى الاستحالة. وصيرورة الشيء شيئاً آخر، صيرورة يد زيد أو جمجمته، ساقاً لعمر، كلا. . . فإن لكل إنسان جزءه الأصلي وما يأكله فهو عرض غريب عليه، والله سبحانه وتعالى عالم تمام العلم بالأصلي من الغريب، وهو القادر على الفصل بينهما وعودة كل لمحله.

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة يس، الآية: ٧٩.

وبما أوضحناه يمكن الرد على أشكال ثالث قد يرد. . . وحاصله: كيف يعذب الله جزء المأكول المطيع والمحسن في واقعة: بجرم الأكل، فقد صار جزءاً من بدنه.

ولا شك أن هذا يبنى على القول ببقاء الإجزاء المأكولة في بدن الآكل وحينها سوف تعذب بجرم لم تقترفه.

إذا سلمنا وقلنا بأن الأجزاء باقية على ماهية عليه، مع غض النظر بما يترتب على ذلك من إيرادات.

فنقول: . . . إن التوهم هذا يندفع ـ توهم من آخذة المطيع بجرم العاصي ـ بأدنى تأمل لقول الإمام الصادق عليه السلام: في جوابه لابن أبي العوجاء: هي هي، وهي غيرها.

الشبهة الرابعة

شبهة «الزمن»

إن من جملة ما قاله المنكرون للمعاد اعتماداً على ما ارتكز في أذهانهم من المعلوم الخاطىء «هو أن الإعادة لو كانت حقيقية لكان من اللازم أن يكون بجميع خصائص ومميزات الإنسان المُعاد. . . ومن تلك الخصائص «الزمان».

وهؤلاء قد غفلوا عن أن شيئية الشيء بصورته فحسب. . . حيث اعتبروا أن شرط العود الحقيقي هو عودة الإنسان مع زمنه الذي اقترن به قبل الموت، لأن ذلك الزمن المنصرم كان أحد مشخصات ومميزات الإنسان قبل الموت فلا بد من إعادته مقترناً مع عودة الإنسان لكي يكون عوداً بكل المعايير الصحيحة. .

حيث لا يمكن أن يعاد الزمن المتجدد آناً بعد آن، واستحالة العودة الحقيقية. . .».

وفي الإجابة نقول: فهم غفلوا عن أن ا لزمن إن هو إلا من العوارض الثانوية للشيء وأن من لا يخلق الاثنينية ولا يوجد التغاير أبداً. . . إذا كان ولا بد من اعتبار الزمن من ذاتيات الشيء فنتسائل هل أن زيداً قبل ساعة هو غيره بعدها ساعة الموت، إذ أن الذات الأول كانت مقترنة بزمن غير ما هو عليه الآن من الزمن. . . وهكذا.

ويحكى «إنه وقع هذا البحث لابن سينا مع أحد تلامذته وكان ابن سينا

مصراً على التغاير. فقال له تلميذه: إن كان الأمر كما تزعم فلا يلزمني الجواب، لأني غير من كان يباحثك...! فبهت ابن سينا وعاد إلى الحق واعترف بعدم التغاير في الواقع»[1].

(١) المواقف في علم الكلام، ص ٣٣٢.

الشبهات والجدل

شبهة التجربة... وجه آخر لإنكار البعث

ما عدم لن يعود. . .

ما الذي جعل هؤلاء المنكرين يصلون إلى الجزم بهذه النتيجة؟. . .

وما الوجه في إنكارهم هذا؟

نقول لقد اتضح لنا من خلال الاستقراء المستمر لأقوال هؤلاء وبياناتهم أن من أحد عوامل وأسباب الجزم بتلك النتيجة. كان هو ما تحصل لهم من بيانات ونتائج العلم التجريبي.

بأن نفر من البشر نجده اليوم يبني أفكاره على أساس ما لاحظته عينه وما سمعته أذنه وما لمسته أصابعه معتبراً من الحياة حقل تجارب، ما نتج منها فهو مؤمن به ومصدقه، وما لم يتبين منها فهو ضرب من الوهم والتخرص.

ومن جملة بحوثه التي أخضعها لقنينة الاختيار وحقله التجريبي، قضية الموت ومسألة العودة بعده. فلطالما تكررت أمامه حالات الموت بصورها المتعددة، فآمن بوجوده وصدقه، لكن لم يشاهد يوماً ميتاً يندفع من قبره نافضاً عنه تراب القبر ليخضع لامتحان العدل الحكيم وما دام لم يشاهد، وما دام لم يألف فهو ليس من المصدقين به. . . وكأن التجربة سبيله الوحيد لمعرفة المجهول. . .

ونحن إذ نتصدى بما لنا من طاقة لأمثال هذه الأفكار والأساليب في الاستنتاج، نمنح وفي ذات الوقت لذلك الشخص جزءاً من العذر. فالإنسان بطبيعته لا يصدّق ولا يحصل له العلم بمرحلة الإنسان السابقة عليه واللاحقة له إلا بمراقبة غيره وهو خارج من الحالة. . . غافلاً عن أن هذه المراقبة تكون قشرية وسطية لا تكشف له إلا ما ظهر.

وغفل عن أن أمثال هذه الأمور كانت من نصيب القدرات المعقولة لا القدرات الحسية، وغفل عن أن أمثال هذه الأمور يجب أن تناط بمسألة تبليغ الأنبياء والرسل الذي لا ينطقون عن الهوى إنما يوحى إليهم تارة، ويكشف لهم تارة أخرى.

ولنقترب من عالم الواقع أكثر ونرى نتائج الاستقلالية في أمثلة هذه الأمور والاعتماد على الذات فيها، دون الاستعانة بالمبلغ الكبير. . .

وإذا أردنا أن نبدأ بمرحلة عالم الأجنة أو عالم الرحم لدى كون هذا الإنسان جنيناً كاملاً وافترضنا «لتصوير الحالة» وجود توأمين أو أربعة توائم يفكرون كما نفكر ويعلمون بين قوانين عالمهم ما نعلم، ثم نسأل هؤلاء التوائم من أين وكيف أو إلى أين؟

لما استطاعوا قطعاً الوصول إلى البداية السفلى والمرحلة الأولى «مرحلة الحويمن والبويضة» و «مرحلة التقاء الحويمن مع البويضة منه دون قصد من الأبوين بل لمجرد حالة شوقهما وجوعهما الجنسي فقط».

أما المسار الإلهي الطويل والطويل جداً قبل وبعد لهذا الكائن وما يصاحب ذلك المشوار من تدبير مدهش وحكمة لا تجاريها العقول فلا يستطيعون الإحاطة به قطعاً. . .

وعلى الافتراض السابق، لو سقط أحد التوائم الأربعة إلى دار الدنيا لما

كانت الثلاثة الباقين صورة يمكن أن يقدمها علمهم للحياة وقوانينها، إلا إذا كانت هذه الصورة قد قدمها لهم وحي إلهي.

وعندئذ يكون تفهمها وتعقلها والقبول بها لمخالفتها لواقع الحياة عندهم صعباً جداً، وإن تم ذلك فهو قائم على الإيمان لا على العلم المحدود... أما مجرد ا لعلم الذي بين يدي التوائم فسيعطي النتائج التالية:

أولاً: ... عدم المعرفة بالعالم الذي يسقط إليه التوائم، وربما عدم الإيمان بوجود عالم تقوم فيه الحياة على غير هذا النمط بالنسبة له، ذلك لصعوبة تصور قوانين أخرى تنهض عليها حياته.

إن البحث العلمي عندهم سوف ينتهي إلى الحكم بانتهاء الحياة بعد الخروج من الرحم، لأن الحياة تقوم بالحبل السري الذي يزودهم بالغذاء والأوكسجين، وبرحم الأم الذي يحتضنهم بصبر طويل ويحميهم بحرص شديد وبذلك سيرون أن حياتهم خارجة مجهولة مخيفة، بل مستحيلة منتهية تماماً.

إلا إذا آمنوا بذلك أي بحياتهم خارج الرحم بوساطة دين ونبي مبلّغ، وهذا طبيعي بالنسبة لهم مهما كانوا ومهما بلغوا من العلم والعقل..

فلو قال لهم رسول أو وحي، إن العالم الذي ذهب إليه أخوهم التوأم، عالم فسيح هو الدنيا فيه أرض وسماء وحجرات وكواكب ونجوم وأقمار وأنهار وأنظمة معينة وحيوانات، وأن المسافات فيها تقاس بسرعة الضوء، وأن الأعداد إلى المليارات وأن لا نهاية لها، وإن هناك أسلحة مدمرة ولذات متنوعة وبيوت كبيرة يساوي الواحد منها الرحم ألف مرة، ووو... لما وجدنا مجالاً للفهم العلمي إلا إيماناً غيبياً دينياً...

ولكنهم شاءوا أم أبوا سيودعون مرحلة السكنى في الرحم ويدخلون

عـالـم الـدنيـا وسيجـدون الثدي قد حل محل الحبل السري لتناول الغذاء، وستفتح عيناه علـى مـا لا يعـرف من الأنوار والأشكال الغير معتادة، وأذناه على ما لا يعرف من الأصوات.

وقد كان مساره في الرحم يمرُّ من النطفة فالعلقة فالمضغة فالعظام ثم العظام المكسوة لحماً. . .

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

فـفي الـدنيـا سيكـون المسـار مـن الطفـولـة إلى الصبا ثم إلى اليفاعة فالشباب فالكهولة ثم الشيخوخة إن لم يتوقف قبل ذلك. . . إذاً فكما كانت معلومات الإنسان بواسطة العلم محدودة في الرحم بالنسبة للدنيا كذلك هي محدودة في الدنيا بالنسبة لعالم الآخرة وما يجري فيه، إلا ما كان بواسطة نبي أو وحي مرسل.

وكل ما اكتشفه أو سوف يكتشفه بالنسبة لعالم الحقائق هي ليست بأكثر مـن معلـومـات جنين قدّر له أن ينظر إلى عالم الدنيا من خلال تلسكوب عبر رحم أمه. .

والآن نقول: هـل يستطيع هذا الكائن الذي عاش مراحل عديدة وهو معصوب العين واجتاز أطواراً يعجز العلم عن فهمها وهو مقيد الحركة. هل يستطيـع وهـو فـي مـرحلة الثانية أن يقول إني لا أستطيع، وبناءاً على واقع حيـاتـي في الدنيا وقوانينها أن أتصور حياة أخرى وفق قوانين مرحلة أخرى

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

ثالثة... وتلك حجة مقطوعة، قطعها من خلقهم أطواراً تبارك وتعالى...

ومن حقي أن أتساءل من جديد، موجهاً كلامي نحو من سلك مسلك العلم التجريبي في إيضاح الحقائق عنه فأقول له: «... لقد قلتم أن المعدوم بعد أن تناثرت أجزاؤه واستهلكت لم تشاهدها حيّة من جديد على مر الدّهور والعصور... إذاً فلا عودة ولا قيامة، ولكن كيف خفي عليك أنك عدماً ثم أوجدت بابتداء الخلق... ولو تنزلنا وقلنا بجدية أسلوب العلم التجريبي في الاستدلال والحكم، فإننا سوف نبتعد كثيراً قبل أن نجد القرآن الكريم قد أتحفنا بقصص تأريخية يروي لنا فيها حالات متكررة من إحياء الموتى.

وقد ذكرناها مفصلة في بعض فصول الكتاب...



الشبهات والجدل

التشفي وشبهة القبح في العقاب

إذا كان الخلق كله في طريقة إلى حياة أخرى ودنيا جديدة بعد الزوال التام لكل مظاهر ذلك العالم الفاني، كما أثبتنا ذلك، فلا بد أنه سيعرّض لحساب فيه جزاءٌ وعقاب، فيه عطاء وبلاء، وإلا لكان ذلك كله من العبث المستحيل صدوره من الله سبحانه وتعالى العالم بالحسن والقبح في كل شيء.

ولكن هناك من خسرت تجارته وأحس بالإفلاس التام في ذلك العالم، وأنه قادم نحو محكمة الله سبحانه وتعالى صفر اليدين. فحاول جاهداً أن يقلل من شأن ما قيل عن حساب يوم الحشر، فاتخذ من عملية طرح الشبه وسيلة لتبرير الموقف، ومحاولة في جمع أكثر عدد ممكن داخل حزبه. ولكن ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] ﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

فقالوا هذه المرة... «إن عقاب الله سبحانه وتعالى لعباده العاصين لا يكون إلا تشفياً، فإننا نلحظ في حالات الاعتداء الفردي يعود المعتدى عليه فوراً عندما تسنح له الفرصة ليأخذ حقه ممن ضربه تشفياً وطلباً لإرواء غليله.. وشبيه بذلك فيكون اقتصاص الله سبحانه وتعالى في الآخرة من عبيده تشفياً ونكاية منه فيهم...

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

والحال أن من مذهبكم هو تنزيه الباري عن كل صفة سلبية[1] وأمر التشفي واقع منه لا محالة. فكيف يتسنى لنا التوفيق بين الأمر الواقعي من صدور التشفي منه تعالى، وبين صيرورتكم إلى نفي إمكان صدور الرذيلة أو ما يقبحه العقل منه تعالى..

ونستعين بالله تعالى في الإجابة. فنقول:

«لا بد من أن نوضح في البداية المعنى الصحيح للتشفي، الذي أوجب عدم وضوحه وقوع البعض في مصيدة الشبهة».

إن التشفي بحسب المعنى الارتكازي والعرفي هو الزيادة في العقاب بعد استيفاء الحق، ومن أجل إيضاح ما قلناه نضرب مثلاً لذلك فنقول: «لو قال المعلم لتلميذه أكتب درسك، وعند تخلفك عن الواجب سوف أضربك سوطاً واحداً».

ولنفرض أن التلميذ لم يمتثل لأمر أستاذه... يكون بذلك قد استحق بحسب الشرط سوطاً واحداً.

أما لو تعدى المعلم وضربه ظلماً سوطين كان بذلك متشفياً.

إذاً فما العقاب إلا استحقاق العبد بإزاء عمله، فهي عملية أشبه ما تكون بالمعارضة، وإن صح لنا التعبير..

نقول أن العمل هو الذي يطالب بحقه، إن كان رذيلة فعقاب، أو

---

(١) الصفات السلبية، هي التي لا يليق ثبوتها بكماله وعزه تعالى، وهي سبعة: إنه تعالى ليسهر بمركب وأنه تعالى ليسهر بجسم، وأنه تعالى ليسهر محلاً للحوادث، وأنه تعالى يستحيل عليه الرؤية، وأنه تعالى لا شريك له، ونفي المعاني عنه تعالى «والتي هي العلم، القدرة والحياة والإرادة والكلام والسمع ينحو أن تكون قديمة زائدة على (الذات قائمة بها)، وأنه تعالى غني بمعنى أنه (ليسهر المحتاج).

فضيلة فهو يطالب بالجزاء والثواب لفاعله.. فهو بهذا لم يكن قد بلغ مرحلة التشفي...

ثم إن التشفي بهذا المعنى لا يمكن صدوره من الله سبحانه وتعالى لأنه لا يتصور إلا في من كان محتاجاً لغيره.

و «الاحتياج صفة الممكن وعدم الاحتياج صفة الواجب الوجود»[1] فمن ظلم وغصب حقه أمكن تصور حصول التشفي منه اتجاه خصمه. ذلك لأن التشفي فعل، عادة يكون دافعه الشعور بالخيبة والخسران الذي عادة ما يكون مؤدياً إلى الميل للتعويض، بالتنكيل والتشفي بتعذيبه بأكثر مما يستحق، والسبب في ذلك يعود إلى احتياجه للتعويض عما فاته..

والتشفي لغة... «هو البرء من الغيظ. يقال... تشفى من فلان... إذا أنكى في عدوه نكاية تسره[2]».

---

(١) ولتوضيح معنى واجب الوجود والممكن نقول: إن المعقولات تتصور على ثلاثة صور لا غير..
١ ـ إما أن يكون المعقول لا يحتمل العدم ولا يحتاج في وجوده إلى علّة فذلك هو الواجب.
٢ ـ إما أن يكون لا يحتمل الوجود ولا يحتاج في عدمه إلى علة فذلك هو الممتنع.
٣ ـ إما أن يكون محتمل الوجود والعدم ويحتاج في وجوده وعدمه إلى علة فذلك هو الممكن.
ومن المعلوم أن واجب الوجود لا يمكن أن ينطبق إلا على واحد وهو الله سبحانه وتعالى الغني، اللانهائي في غناه، والذي لا يتطرق إليه الاحتياج وإلا لكان غنياً ولكان يحتاج في وجوده إلى علّة.
وأما الممتنع: فلا ينطبق إلا على شريك الباري من جهة الوجود، وأما من جهة المفاهيم فإنه ينطبق على مفاهيم كثيرة كاجتماع النقيضين وارتفاعهما، ونحو ذلك، ولكن المفاهيم لا تشخص لها في عالم الوجود «معدومة».
وأما الممكن فهو سواهما، سواء أوجد أم لم يوجد، ما دام لا يستحيل وجوده ولا يجب وجوده وهو يحتاج في وجوده إلى من يوجده، وفي عدمه إلى من يعدمه.

(٢) مختار الصحاح.

«والنكاية. من (نكيَ) في العدو. قتل فيهم وجَرَح»[1] ثم أن التشفي صفة حكم العقل بشكل قطعي على قبحها وذم فاعلها... ونحن على المذهب كما ذكر من أن الخالق الحكيم لا يخلو فعله عن حكمة وصواب والحكمة تضاد القبيح، فلا بد من أن تكون أفعاله تعالى كلها صادرة عنه بتدبير وحسن اختيار...

وبصورة أوضح، أن فاعل القبيح ـ أمثال التشفي لا يخلو من أحد أمور أربعة:

أولاً: أن يكون جاهلاً بالقبح و﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[2].. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ثانياً: أن يكون عالماً يقبح التشفي ولكنه عاجز عن تركه! ولكن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء من الأشياء. والدليل على ذلك:

أ ـ إن العجز نقص وذلك لا يناسب الكامل.

ب ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾[4] وهذه القدرة تتنافى مع العجز.

جـ ـ لقد صدر من الله القادر من الخلق والإبداع ما أبهر العقول وهذا يدل على كماله وقدرته.

ثالثاً: أن يكون محتاجاً إلى فعله، وقد أثبتنا بالدليل استغناءه واحتياج الكل إليه...

رابعاً: أن يكون قادراً غير محتاج. ولكن بفعل التشفي عبثاً... وقد أقمنا الدليل على أن جميع أفعاله تعالى عن حكمة وصواب.

---

(١) المنجد، ٣١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

الشبهات والجدل

الخلود: وشبهة القبح في العقاب

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[1].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4].

وهكذا يستمر القرآن الكريم مؤكداً من خلال الآيات ضرورة أن لا يتطرق الشك إليها أو الريب، ألا وهي قضية الخلود[5].

وليس بوسعي أن أذكرها جميعاً، كما وليس بصدد إثبات الخلود أو عدمه، فإن قضية دوام وبقاء البعض في النار معذبين عذاباً سرمدياً أبدياً دون انقطاع أو كف. أمر مفروغ منه بعد ملاحظة العدد الوفير من الآيات

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٦.

(٥) الخلد... الدوام والبقاء.

والروايات التي نصت على تلك القضية... ولكنني بصدد إيضاح وتفنيد ما قد يقال على العذاب الخالد من قبح صدوره من الله سبحانه وتعالى.

وأنه لا يصح من الرحمن الرحيم أن يأمر بمدة العقوبة أن تكون أكبر من زمن العصيان...

فهل من العدل أن يجازى عبدٌ عصى الله سبحانه وتعالى ثمانين سنة خلوداً في النار...

ثم أليس الخلود هو التشفي الذي قلتم في تعريفه أنه «**الزيادة في العقاب بعد استيفاء الحق**»...؟

لقد تكفل القرآن الكريم هذه المرة بالإجابة عن شبهة كمثل هذه... فإن أدني ملاحظة لمجموع آيات التأييد في النار يجهر المتتبع.

إن الخلود في القانون الإلهي ليوم القيامة مبني على واحدة من حالتين، إن تلبس العبد بهما كان ممن حقق عليه كلمة العذاب الخالد...

الحالة الأولى: هي ما إذا كانت متعلقات العصيان أموراً قد أضفى الشارع المقدس عليها هالة من الاحترام، وأن تجاهل الأمر بها من قبل العبد يوجب اختلال وفساد الحالة الاجتماعية للفرد. ولا ينكر دورها المباشر وغير المباشر على الحالة الطبيعية للنظام العام... ولذا كان الشارع المقدس يقوم بدور الموازنة بين تخلف الأمر الإلهي من قبل العبد، وبين التهديد بالعقاب الصارم. لأنه كما أسلفنا في الشبهة السابقة أن العذاب ليس هو بفعل متشفٍ بالعقاب ومنتقم خارجي، إنما هو من لوازم ونتائج أفعالهم...

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾[1].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[3].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾[4].

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴾[5].

فمن الوعد والوعيد من عصيان ومخالفة حدود الله وأحكامه إلى قاتل المؤمن المتعمد، حتى إسخاط الله ورسوله المقرون بالاستفهام الدال على التعجب الشديد، إلى ولاية الكفار عن هوى النفس. .

في كل ذلك كانت الآيات القرآنية تعظم أمر هذه المعاصي، مشيرة إلى أن سبحانه وتعالى قد أغلظ من وعيد العصاة والكفرة مبشراً إياهم النار الخالدة، وأن جزاءهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

الحالة الثانية: وهي أن يكون حساب الله تعالى، في حالة أمره بتخليد نوع من عبيده مبنياً على الملكة وعدمها، وأن اختياره لهذا الصنف من العقاب يكون في مرحلة حصول ملكة العصيان في ذات العبد.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٩.
(٤) سورة البينة، الآية: ٦.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٨٠.

فالملكة: هي تلك الكيفية الراسخة في النفس التي يصعب زوالها... إذ أن الإنسان ولا شك له نفس أمارة بالسوء تراوده على الفحشاء والمنكر من حين لآخر، فقد يجني على نفسه حيناً ويقترف بعض الذنوب حيناً آخر وإلى هذا المعنى أشار شاعر العرب الخالد المتنبي بقوله:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلمُ

ويحاول عصيان بعض أوامر الله سبحانه وتعالى، ولكنه سرعان ما ينتبه لذاته فيتوجه لله خاشعاً خائفاً راجياً منه الغفران عما يدل منه فتمتد له يد المسامحة والعفو من لدن من هو أرحم الراحمين...

وقد يستمر ذلك الجاني على عصيان الله تعالى مكرراً المعصية تلو المعصية وهكذا حتى تألف نفسه، وتعتاد على اقتران ذنب معينٍ أو غير معين فتحصل بذلك، أي بالتكرار والاعتياد ملكة عند الشخص. وهي تلك الحالة المتمكنة في النفس التي يصعُبُ زوالها، وتلك الدرجة القصوى من تمركز الرذيلة في النفس التي لا يمكن له أن ينزعها بعد ذلك أبداً...

بخلاف العصيان المتفرق المتعدد نوعاً ما، فإنه والحال هذه عند عدم حصول الملكة عنده يبقى بمرحلة إمكان تصور تركه... الفعل والله سبحانه وتعالى قد جعل جزءاً من حسابه على حصول الملكة وعدمها فهو القائل في محكم كتابه العزيز مصوراً الحالة التي عليها أصحاب النار.

﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾[1].

فقد تلحظ رفض الله سبحانه وتعالى عودتهم لأنهم قد تمكنت منهم

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩.

ملكة العصيان، إذ حتى لو ردوا إلى دار الدنيا ثانية لعادوا إلى ما نهو عنه ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

تذكير من الله من خلال قرآنه لما تقرر في نفوسهم، من الملكات الرذيلة في نشأة الدنيا فإن الذي بعثهم إلى تمني الرجوع إلى الدنيا والإيمان فيها بآيات الله والدخول في جماعة المؤمنين إنما هو ظهور الحق المتروك بجميع ما يتبعه من العذاب يوم القيامة ولو عادوا إلى الدنيا لزمتهم حكم النشأة ورجعوا إلى اختيارهم، ومعه هوى النفس ووسوسة الشيطان. فيعودون إلى سابق شركهم وعنادهم مع الحق فإن الذي دعاهم وهم في الدنيا إلى مخالفة الحق وتكذيب آيات الله تعالى هو على حاله مع فرض ردهم إلى الدنيا بعد البعث.

ولنا لقاء آخر مع القرآن الكريم في آية من آياته لكي تعطينا دليلاً وشاهداً آخر على أن بعضاً من الخلود في النار مبني على الملكة في النفس البشرية. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

فقد أشارت التفاسير القرآنية إلى أن الخطيئة، هي الحالة الحاصلة في النفس البشرية من كسب السيئة، ولذلك أتى بإحاطة الخطيئة بعد ذلك كسب السيئة... وإن إحاطة الخطيئة توجب أن يكون الإنسان المحاط به مقطوع الطريق إلى النجاة، وكأن الهداية لإحاطة الخطيئة به لا تجد إليه سبيلاً.

فهو من أصحاب النار مخلداً وقائماً فيها، ولهذا كان العذاب على شكل التدرج الهرمي بالنسبة إلى المعاصي، وأن الحد الأقصى منها هو

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨١.

حصول الملكة من الرذيلة، التي لا يرتجى فيها عودة إلى الخير أبداً. . .

قال تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[1].

والرين: هو الصدأ الذي يعلو الشيء الجلي، وكأن العمل السيء والمعصية المتكررة أوجبت تراكم طبقات الصدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير والشر. . .

ولو أردنا النظر قليلاً لنتصفح بعض فقرات دعاء كميل الذي علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد رضوان الله عليه، حيث يقول فيه: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم**».

والعصمة: هي المنعة، وعصمة الله عبداً إذا منعه مما يوبقه[2] فإن الجملة الدعائية هذه قد تضمنت التماس العبد من ربه غفران ذنوبه التي تهتك العصم، أي الذنوب التي تكون سبباً في زوال مناعة العبد من الوقوع في الموبقات والرذائل[3].

وها نحن نلتقي أخيراً بالإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وهو يحدثنا ليلفت أنظارنا نحو ذلك الحد الأقصى من الذنوب ونحو الملكة الحاصلة في نفس العبد فيقول: «**ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب خرج من تلك النكتة نكتة سوداء. فإذا تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى الخير أبداً. . .**

وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4].

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.
(٢) المنجد: مادة عصم.
(٣) أضواء على دعاء كميل.
(٤) سورة المطففين، الآية: ١٤.

وفي حديث آخر أيضاً عليه السلام قال: «**ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله**»[1].

وبهذا يكون الله سبحانه وتعالى حين يمدُّ في عقابهم خلوداً في النار تبعاً لما في أنفسهم من ملكة الرذيلة، وكأنهم حتى بعد موتهم وحال تعذيبهم في جهنم هم في حالة عصيان مستمر دائم لتمكن العصيان وتمركزه فيهم... والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الميزان، ج٢، ص ٢٣٦.



الفصل الثالث

البرزخ

عالم الوسط بين الدنيا والآخرة



بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الأخيار.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[2].

وقال علي بن الحسين عليه السلام: «إن القبر إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران»[3].

وقال الصادق عليه السلام: «والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ. وأما إذا صار الأمر إلينا فنحن أولى بكم»[4].

من المؤكد أن كل متحدث أو قارىء في صفحات عالم البرزخ سوف يجد نفسه غارقة في بحر من المغيبات والافتراضات المجردة عن الأدلة والبراهين. وفي رأي أن هذا هو شأن جميع البحوث التي تتعرض لقضايا ما وراء المحسوسات والعقليات المحضة.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ و١٠٠.
(٢) سورة غافر، الآية: ١١.
(٣) الميزان، ج١٠، ص ٧٤.
(٤) الميزان، ج١٠، ص ٧٤.

ولهذا طالبنا البعض بالتسليم بها من دون تساؤل. والتصور لكل حالة سواء أرضينا بها أم لم نرض، باعتبارها بحراً لا ساحل له وأن الولوج فيه يزيد الطين بلة. وإذا كان ذلك من الممكن تصوره في حق المسلم المؤمن الواعي والمتبصر بتعبده بما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فإن نفر آخر من المسلمين من العسير أن يحمل على التصديق والتسليم به، إذ أنه آلى على معلوماته أن لا تكون واردة إلا من أبواب الدليل العقلي البحت أو العلم العلمي الفسلجي.

ولهذا كان البحث عن الحجة العقلية باعتبارها الفصل كما ذكره القرآن الكريم والسنة النبوية، عن جميع متعلقات البرزخ، لا عن أساس وقوعه ووجوده من المبادي الأولى في هذا المبحث.

لقد اعتاد المتكلم عن هذا العالم أن يجد التفسير اللفظي في البداية لهذه الكلمة ـ البرزخ ـ ونحن على نفس النهج سائرون، فنقول:

البرزخ: لغة هو الحاجز بين الشيئين. وهو في الاصطلاح، ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فمن مات دخل البرزخ[1].

كما في قوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[2].

والمراد بكونه ورائهم كونه أمامهم محيطاً بهم وسمي ورائهم بعناية أنه يطلبهم كما أن مستقبل الزمان أمام الإنسان.

ويقال وراءك يوم كذا بعناية أن الزمان يطلب الإنسان ليمرَّ عليه وهذا معنى قول بعضهم: إن في «وراء» معنى الإحاطة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[3].

---

(١) مختار الصحاح، ص ٤٨.
(٢) سورة الرحمن، الآية: ٢٠.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

والمراد بهذا البرزخ عالم القبر وهو عالم المثال الذي يعيش فيه الإنسان بعد موته إلى قيام الساعة على ما يعطيه السياق وتدل عليه آيات أخر وتكاثرت فيه الروايات من طرق الشيعة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام وكذا من طرق أهل السنة.

وقيل: المراد بالآية أن بينهم وبين الدنيا حاجزاً يمنعهم من الرجوع إليها يوم القيامة ومعلوم أنه لا رجوع بعد القيامة ففيه تأكيدٌ لعدم رجوعهم وإياس لهم من الرجوع إليها من أصله[1] وليت شعري ماذا يقصد هؤلاء بقولهم هذا؟ وعلى أية صفة يتصورون حياة شهداء بدر بعد قتلهم مع قولهم: بانعدام الإنسان بعد الموت والقتل وانحلال تركيبه وبطلانه؟ أهو على سبيل الإعجاز: باختصاصهم من الله بكرامة لم يكرم بها النبي الأكرم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء والمقربين إذ خصهم الله ببقاء وجودهم بعد الانعدام، فليسهر ذلك بإعجاز بل إيجاد محال ضروري الاستحالة، أم هو على نحو الحس الاستثنائي حكم الحس بأن يكون الحس مخطئاً في أمر هؤلاء الشهداء؟ فهم أحياء يُرزقون بالأكل والشرب وسائر التمتعات وهم غائبون عن الحس وما ناله الحس من أمرهم بالقتل وقطع الأعضاء وسقوط الحس وانحلال التركيب فقد أخطأ في ذلك رأساً[2].

(١) ماذا بعد الموت، ص ٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.





مباحث حول البرزخ

المبحث الأول:

البرزخ حياة أم ممات؟

إن السؤال الأول المطروح على بساط البرزخ بعد أن يعلم المُتسائل أن لهذا العالم المذكور وظائف معينة وشؤوناً خاصة تختلف من حيث الشدة بحسب ما جنته يـد الإنسـان فـي دنياه من سؤال منكر ونكير إلى نعيم القبر وعذابه على العموم، وضغطة القبر على الخصوص.

قد يكون سؤاله مقروناً بصيغة استنكار واستبعاد لكل ذلك، لأنها أعمال تتعقب حالة الموت، وهي بحد ذاتها أوصاف لذاتٍ حية، فكيف يُكتب ويقدر لهذا الإنسان الميت أن يعيش مظاهر الحياة المذكورة. . .

ويمكـن الـذب عـن ذلـك ولأول وهلة أن قضية فرض الموت ليست شاملة، بل هي مقصورة على الجسد فقط، حيث يختص البحث فيها حول حياة النفس وعدم مماتها وهذا مما اتفق عليه الكل إلا من شذ وندر.

ونرى القرآن الكريم قد أكّد في جملة من آياته على حياة الفرد في ذلك العالم «عالم البرزخ»[1].

قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾[2]. إذ أن

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ و١٠٠.
(٢) سورة غافر، الآية: ١١.

المراد بقولهم هذا، هو الإماتة عن الحياة الدنيا والإحياء المبرزخ ثم الإماتة عن البرزخ والإحياء ليوم الحساب - **يوم القيامة**[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2] فإن الآية الشريفة دالة على بقاء الإنسان بعد الموت ما بينه وبين يوم القيامة، والمراد بالموت هنا هو بطلان الشعور والفعل[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[4].

فإن في الآية دلالة واضحة على حياة الإنسان البرزخية، ومن أعجب الأمر ما ذكره بعض الناس في الآية، إنها نزلت في شهداء بدر فهي مخصوصة بهم فقط لا تتعداهم إلى غيرهم...[5].

ويمكن القول، إن استبعاد الإنسان لعالم البرزخ جاء كنتيجة حتمية واضحة لعدم وجود ما يشابه ذلك، وما هو مشاهد وملحوظ في دنياه هذه. ولكن يمكن تقريب ذلك المعنى إلى ذهن القارىء العزيز، بأنه فليكن عالم البرزخ الذي نحن بصدده الآن شبيهاً، أو فرداً آخر مطابقاً لصورة أخرى مسلمة عنده، وهي حالة الأحلام الملحوظة عند النوم فإنها مسبوقة بيقظة عن حياة ثم نوم، ثم تسكن فيه الحواس وتهدأ فيه النفوس، ولتكن هذه المرحلة شبيهة بالموت ثم الحياة، ثم عالم الأحلام ثم مرحلة انقضاء الحلم وأعني بها اليقظة المماثلة ليقظة يوم القيامة...

---

(١) الميزان، ح١٠، ص ٧٤.

(٢) الميزان، ح١٠، ص ٧٤.

(٣) مختار الصحاح، ص ٤٨.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

ونكون بهذا قد انتهينا إلى أن عالم البرزخ عالم حياة لا ممات. ولكن قد يجد القارىء أو يستشف من مجمل ما قلناه أن البحث قد أخذ يقترب وينحو نحو اعتبار النعيم أو العذاب البرزخي عائد إلى الروح الإنسانية فحسب بعد مرحلة إثبات أن البرزخ حياة وشعور وإحساس، كما هو ظاهر اختيار البعض من العلماء.

فقد وجدت السيد محمد حسين الطباطبائي في الميزان يذهب إلى القول ما نصه: **«والروايات في باب البرزخ كثيرة إنما نقلنا ما فيه جوامع معنى البرزخ وفي المعاني المنقولة روايات مستفيضة كثيرة وبها دلالة على نشأة مجردة عن المادة»**[1].

أي أن عالم البرزخ في حقيقته وواقعه عالم الأرواح لا الأجساد. ولكن على هذا المذاهب سوف نجد فيه تناقضاً صريحاً مع الآية المتقدمة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ المجعولة في المرتبة الأولى من تسلسل الآيات الدالة على وجود عالم وسطي هو عالم البرزخ.

وبعد التسليم بأن الروح حية لا تموت كما هو مذكور أيضاً في طيات بحث السيد الطباطبائي في الميزان وسيأتي ذلك في طيات البحث، حيث أوضح بالدليل إضافة إلى ذلك على تجرد النفس الإنسانية[2].

كيف تسنى للآية أن تصرح بأن الإنسان سوف يحيا بعد أن مات ليعيش البرزخ والحال أن الروح المعوّل عليها في البرزخ عنده لم تمت فلا ممات للجسد البرزخي لكي يكون هناك إحياءٌ بعد الحياة الدنيا.

وهذا هو المذهب الأول، القائل بأن البرزخ روح لا جسد.

---

(١) الميزان ج١، ص ٣٦٤.
(٢) الميزان ج١، ص ٣٥٠.

أما المذهب الثاني:

فهو أن نقول بأن حياة البرزخ بما فيها من نعيم وعذاب عائد إلى الروح والجسد الميت معاً.

كما هو ظاهر عبارة البعض: «**إن الميت إذا أدخل القبر ترد روحه من رأسه إلى ظهره ويأتيه الملكان ويسألانه...**»[١].

وكذلك ذهب إلى أنه «يجب الإقرار بضغطه القبر وأن السؤال والضغطة بالنسبة إلى هذا البدن وسائر أمور البرزخ للروح»[٢].

وفيه: إن القول بالنسبة لعذاب القبر مختلف فيه والأمر لا يخلو فيه: إما أن تقول بأن العذاب إن هو إلا مرحلة معينة وزمن محدود ثم يترك الميت المحيا ليموت من جديد ثم تعود إليه الحياة من جديد يوم يقوم الخلق للحساب.

وفيه من المعذب؟... بالنسبة لجسد تمزقت وتناثرت أحشاؤه في دنياه حتى أنه لم يوجد منه ما يقبر بفعل حريق أو غريق أو وفات إثر هجوم بواسطة الأسلحة الفتاكة القادرة على إفناء المادة ظاهراً، كما هو ظاهر ما يقال من الأسلحة النووية الحديثة...

وإما أن نقول، إن العذاب يستمر إلى يوم البعث ثم يموت في قبره لكي يؤمر بالحياة من جديد ليخضع لحساب العدل الحكيم...

ولكن... إننا لا نشك في الجل من أن أجساد الموتى سوف يؤول في عامه الأول إلى الرميم وعودة كل شيء إلى أهله.

فمن الذي سيعذب أو ينعم والحال هذه؟

---

(١) شبهة استحالة عودة المعدوم (القسم الثاني)، حق اليقين ح٢، ص ٦٤.

(٢) سورة المؤمن، الآية: ١١. حق اليقين ح٢، ص ٦٤.

المذهب الثالث...

وهو القول بأن المنعم والمعذّب هو البدن لوحده والمتبني لهذه الفكرة هم فرقة من أهل الجدل من العرب.

وقد جاء اعتقاد الفرقة المتبنية لهذا المذهب لنتيجة خاطئة لتصور مغلوط، ألا وهو اعتبار البدن وحده وبمفرده محقق للحياة ومكونٌ لذات الإنسان فصدّق بذلك، فكان أن أصبح جاهلاً جهلاً مركباً. . .

وقد أصاب البعض منهم الغلو والإفراط حداً جعله يدعي أن ليس للروح والنفس موردٌ أصلاً. . .

وإذ اتضح منشأ هذه الدعوى، فلا حاجة بنا إطلاقاً إلى ردها، فأقوالهم وادعاءاتهم كفيلة بالرد على نفسها. .

وإذ أصبحت الصورة لمجمل النزاع الدائر والأقوال الكثيرة واضحة وقد بان فساد الصور والمذاهب الثلاثة.

نقول. . .

وللجمع بين تلك الأحاديث القائلة بالشمولية في العذاب لكل من الجسد والروح وبين القسم الآخر المدعي للروح.

ولكي لا تصطدم مع تفسير الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾.

لا بد من أن نقول وجمعاً لما سنذكره من الروايات إن من كان له جسد سالم فهو المعذب مع روحه، وإن فقد الجسد الأصلي فما يسمى بالجسد البرزخي أو البدن المثالي المنشأ جديداً هو الذي سيحل بدلاً عنه مع الروح ليعيشا البرزخ معاً، وإن أردنا الذهاب إلى أبعد من ذلك ـ نقول ـ على الإطلاق بعض يُعذب بنفس جسده والآخر بجسد آخر منشأ جديداً. . .

سئل الإمام الصادق عليه السلام عمن مات في هذه الدار أين تكون روحه؟ فقال عليه السلام: من مات وهو ما حض للإيمان محضاً أو ما حض للكفر محضاً. نقلت روحه من يكله إلى مثله في الصورة، وجوزيَ بأعماله إلى يوم القيامة فإذا بعث الله من في القبور أنشأ جسمه ورد روحه إلى جسده وحشر...[1].

وفي الصحيح عن يونس قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام: عن المصلوب أيعذب عذاب القبر قال. فقال نعم، إن الله عزّ وجلّ يأمر الهواء أن يضغطه[2].

ومما يلائم ما نحن فيه ما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي في كتاب تهذيب الأحكام في أواخر المجلد الأول منه عن الصادق عليه السلام: إنه قال ليونس بن ظبيان، ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟

فقال يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من ذلك أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر.

يا يونس، المؤمن إذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا... فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا...

وقال التفتازاني في شرح المقاصد: وعلى هذا بنو أمر المعاد الجسماني، بأن البدن المثالي الذي تتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسي في أن له جميع الحواس الظاهرة والباطنة فيلتذ ويتألم باللذات والآلام الجسمانية.

---

(١) الميزان، ج١٧، ص ٣١٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

المبحث الثاني:

ماذا يجري هناك؟

ماذا يحدث وما الذي سيخضع له الإنسان في ذلك العالم الوسطي...؟ أي جواب وأي كلمات يسطرها القلم عن ذلك العالم؟.. عالم تكمن فيه البداية التي لا نهاية لها أبداً، عالم هو البوابة الأولى لكل حسرة وحشرجة، عالم يكرر فيه ابن آدم قوله ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ هذا من جهة.

ومن جهة أخرى هو عالم تكمن فيه نشوة الفوز الحقيقية، وعالم فيه ما لذ وطاب حياة تفتّح له فيها أبواب الجنان، يردد فيها ابن آدم «أن وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً»[1].

قال عليه السلام: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار».

فيقال هذا هو مقعدك حتى نبعثك يوم القيامة[2].

تلك هي أيام القبور، البيت الذي صدقت فيه كلمة الوحدة والوحشة، بيت حفّت به مجاميع من الحشرات والدود..

وعن علي بن الحسين عليه السلام: «أشد ساعات ابن آدم ثلاث ساعات»

---

(١) الميزان، ج٤، ص ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٤. المرآة الناظرة لمنازل الآخرة، ص ٦٥.

ساعة التي يعاين بها ملك الموت، وساعة التي يقوم فيها ابن آدم من قبره، وساعة التي يقف بها ابن آدم بين يدي الله فإما إلى الجنة وإما إلى النار.

ثم قال عليه السلام: «فإن نجوت يابن آدم عند الموت فأنت أنت وإلا هلكت، ثم تلى هذه الآية: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1] قال: هو القبر وإن لهم فيه لمعيشة ضنكاً وأن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

ثم أقبل على رجل من أصحابه، فقال له: علم ساكن السماوات وساكن الجنة من ساكن النيران فأي الرجلين أنت وأي الدارين دارك...»[2]

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «إن الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، فمنها أن ملكين لله تعالى يقال لهما ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه وعن نبيه وعن وليه فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم وإن أرتج عليه سلموه إلى ملائكة العذاب..»[3].

وعن الصادق عليه السلام: «إن أرواح الكفار في نار جهنم يعرضون عليها يقولون ربنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا»[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت ـ القبر، فاحذروا ضيقه وغربته ووحشته.

إن القبر يقول كل يوم أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت الدود، والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران[5].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٢) المرآة الناظرة لمنازل الآخرة، ص ٦٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٢.
(٤) حق اليقين، ج٢، ص ٦٤.
(٥) المرآة الناظرة لمنازل الآخرة، ص ٨١.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن عدوّ الله إذا أدخل القبر قالا له (منكر ونكير) من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري، فيقولان له لا دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى أن دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامّها تنهشه حتى يبعثه الله من قبره وأنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر..»[1].

أي أنه يتمنى قيام الساعة لينجو مما هو فيه، وليس له علم بما هو مقبل عليه من عذاب القبر ولكن علم الكافر ومشاهدته لما في النار يعرضه عليها جعلته يفضل عذاب القبر مع ما فيه من الشدة الملحوظة في رواية الأمير عليه السلام على عذاب يوم الآخرة: **«يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار»**.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «قال، أُقعد رجل من الأخيار في قبره فقيل له إنا جالدوك مائة جلدة من عذاب الله. فقال لا أطيقها. فلم يزالوا به حتى انتهوا إلى جلدة واحدة.

فقالوا: ليس منها بد.

قال فيم تجلدونني فيها.

قالوا: نجلدك لأنك صليت يوماً بغير وضوء، ومررت على ضعيف فلم تنصره.

قال: مجلدون من عذاب الله عزّ وجلّ فامتلأ قبره ناراً...»[2].

---

(١) حق اليقين، ج٢، ص ٨٥.
(٢) حق اليقين، ج٢، ص ١٢٠.



المبحث الثالث:

عذاب القبر خيال أم حقيقة؟

لطالما بصرت عيوننا قبوراً عفا عليها وعلى ساكنيها الزمن، بل وحتى الجديد منها. ولم تلحظ العيون تلك الحيوانات والحشرات التي أكثرت الروايات من ذكرها ـ عقارب ـ دود ـ تنين. .

نقول لا يخلو الأمر من أحد جوابين:

إمـا أن نـقول بـأن جميع ما يقال ويروى من وجود تلك المخلوقات. ليسـت هـي شبيهـة بمـا نراه منها في حياتنا هذه بل هي عالم مشابه لعالم الأرواح والملكوت وأنها أجساد أثيرية لها اهتزازات خاصة فوق مستوى طاقة النظر البشرية في عالم الدنيا هذه.

أمـا المسجـى فـي قبـره فـالأمـر بـالنسبة له مختلف عنا فإنه يرى تلك الحيوانات كما يرى الملائكة ـ ملائكة العـذاب والرحمة ـ ولا أحد قائل بأن الملائكة لها أجسادُ كأجسادنا واهتزازات مشابهة لنا. أما أداة النظر بطبيعتها الأولية فإنها لا تصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتية.

أو أن نقول بأن القضية شبيهة بالآلام والأوجاع التي يعانيها النائم في عالم الأحلام حينما يواجه عدواً يضربه ويشجه وفي حقيقة الأمر لا يشك فرد أياً كان في شدة معاناة ذلك النائـم وتـألمه، إلا أنه لا وجود في عالم الواقع لمظاهر تلك المقاومة ولا لأولئك الأعداء.

وهكذا تعود الروح إلى البدن كما تعود القوة الكهربائية لجهاز التبريد بعد انقطاعه فترة زمنية أو جهاز الهاتف، فالروح بمثابة القوة الكهربائية للبدن فتحل الروح بالبدن في القبر فترة التساؤل فيجلس الميت ويرد على الأسئلة الموجهة إليه ثم تخرج الروح كما في الروايات الكثيرة منها:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «كأن قد أوفيت أجلك وقبض الملكُ روحك وصرت إلى منزل وحيداً فردّا إليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكاك: منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك ألا وإن ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعيده وعن ثبيك الذي أرسل أُيك وعن دينك الذي تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه ثم عن عمرك فيما أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته فخذ حذرك وانظر لنفسك وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساء له والاختيار»[1].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له: من ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: وما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

---

(١) العقائد الإسلامية، ص ٥٥٥.

(٢) حق اليقين، ج٢، ص ٥٥.

وفي كتاب الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله ﷺ لصلاة فرأى ناساً كأنهم يكثرون.

قال: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هازم اللذات لشتغلكم عما أدى فأكثروا ذكر هازم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التواب وأنا بيت الدود فإذا دفن المؤمن قال له القبر مرحباً وأهلاً أما إني كنت لأحب من يمشي على ظهري إليَّ فإذا وليتك وصرت إليّ فسترى صنعي بك.

قال: فيتسع له مد بصره ويفتح له باب من الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحباً ولا أهلاً أما إني كنت أُبغضُ من يمشي على ظهري إليَّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك.

قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي عليه وتختلف أضلاعه.

قال وقال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض.

قال: ويفيض له سبعون تنيناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضي به إلى الحساب.

قال: وقال رسول الله ﷺ «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

ويروى أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز: فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته.

فقال له بن عبد العزيز: يا ابن أخي وما يعجبك مني كيف لو رأيتني بعد دخول قبري بثلاث وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد والدود من المناخر والفم وانتفخ البطن

فعلا على الصدر وخرج الدبر من الصلب لرأيت إذ ذاك شيئاً أعجب مما رأيته الآن وقال حاتم الأصم: من مر بفناء القبور ولم يتفكر في نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم.

الحمد لله رب العالمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الرابع:

لماذا البرزخ؟

لقد علمتنا الرسالة المحمدية أن جميع ما هو موجود ومخلوق. وما حصل وما يحصل لا بد من أن يكون تابعاً إما للإرادة التكوينية أو الإرادة التشريعية، وكل إرادة إلهية لا يشك في أنها تهدف إلى مصلحة معينة. وأن لكل ذلك علّة في عالمه الواقعي، وأن عجز العقول عن تفسيرها والإحاطة بها لا يمنع ولا يكشف عن وجودها إطلاقاً، لأن عقول البشر مهما علت فإنها تبقى قاصرة عن فهم كل ذلك. . .

ولكن هذا لا يلغي حق التساؤل الدائم عنها، إذ قد يجد فكر سليم يوماً تفسيراً مقنعاً لها في ظل فقد النص القرآني والحديث النبوي بذلك هو السائل وهو المجيب في حدود المقدرة وشرط عدم الاصطدام بما يثبت بالدليل. .

فلسائل أن يسأل، لماذا؟ ولِمَ الانتظار؟ فقد مات الخلق الكثير منذ آلاف السنين ويموت الباقون ليلحقوا بهم وسينشأ جيل جديد. وهكذا مع بقاء الأول في لحده وانتظار القديم في خاضعين لحساب البرزخ، حتى تقوم الساعة ليجازى العاصي بجهنم ويثاب المطيع بالجنة. . . لِمَ. . . لا يُسوّى حساب كلٍّ عند وفاته فإما إلى الجنة فوراً أو إلى النار زرقاً؟

لِمَ. . . هذا العالم المتوسط بين الدنيا والآخرة. . . ؟؟

لقد تكررت لِمَ فهل من جواب لها؟

نعم لكل سؤال جواب، ويمكن أن يتفق للسؤال الواحد عدة أجوبة أيها لاقى استحساناً عندك فخذه...

أولاً: إن هذا التساؤل أوضح أن المتسائل هذا غافل عن شيء، وله تصور خاطىء عن بعض الحقائق الأخرى...

فإنه ـ أي السؤال ـ جاء لعملية تشابه وضعها المتسائل بين عالمنا هذا وعالم البرزخ، أي عالم الدنيا وعالم ما بعد الموت.

فقد لاحظ عنصر الزمن ووجد التفاوت فيه مستمراً فإن اللحظة التي تمرُّ لن تعود، ولا تتوقف إنما ستحل بعدها أخرى ليستمر الزمن بالمسير فكان أن طابقه على الموت فمنهم متقدم ومنهم متأخر وقد يكون التفاوت كبيراً بين الاثنين فتساءل عن سبب ذلك. ولكنه غفل عن حقيقة واضحة طالما أشارت إليها موسوعة المسلمين العلمية ألا وهو قرآنهم الكريم في موارد كثيرة...

وهو أن العالم الآخر، أو عالم ما بعد الدنيا على الإطلاق إن هو إلا عالمٌ مغاير ومختلف تماماً لما نراه في هذه الدنيا، حتى عنصر الزمن فإنه ملغى هناك أو فلنقل، إن الزمن هناك واحد..

وها نحن معك أيها المتسائل لنستعرض بعض آيات القرآن والحديث وهي تقول...

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ * قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد أكد السيد الطباطبائي في ميزانه على أن المراد من التساؤل في

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١١٢ ـ ١١٤.

قوله ـ كم لبثتم ـ إن هو إلا تساؤل عن مدة لبثهم في القبور، وأن المراد باليوم هو الواحد من أيام الدنيا. وقد صدقهم الله سبحانه وتعالى فيما تصوره لمدة اللبث في تلك القبور[1].

وفي مجمع البيان قال.. قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي في القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[2] لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم ومكثهم[3].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[4].

وعن الميزان أنه قد ظهر بما تقدم أن المراد باللبث ما بين الحياة الدنيا والبعث أي لبثهم في القبور[5].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾[6].

ففي الآية حكاية عن لسان حال الجهلة بالحق في اشتباه الأمر عليهم حتى ظنوا أنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من ساعات الدنيا.

وفي مجمع البيان قال: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ...﴾ أي يحلف المشركون «ما لبثوا» في قبورهم (غير ساعة)[7].

وقد سئل النبي ﷺ كم بين الدنيا والآخرة. قال غمضة

---

(١) الميزان، ج١٨، ص ٧٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١١٢.
(٣) مجمع البيان، ج٧، ص ١٢١.
(٤) سورة النازعات، الآية: ٤٦.
(٥) الميزان، ج٣، ص ١٩٧.
(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٥٥.
(٧) مجمع البيان، ج٨، ص ٣١٠.

عين[1] والمتتبع لهذه الآيات يجد أن ألفاظ الزمن ـ يوم ـ بعض يوم ـ عشية ـ أو ضحاها ـ ساعة ـ غمضة عين ـ قليلاً ـ قد تكررت وهي تحمل مفهوماً واحداً لا تفاوت فيه، فإنه سيكتشف فوراً تواطؤها الصريح وتواترها الإجمالي على أن الموتى جميعاً دون فرق بين فئة وأخرى متقدمة واحدة أو متأخرة يؤكدون على انعدام الزمن وعدم شعورهم المطلق بطوله أو قصره، .وكأن الحياة في ذلك العالم تكون مجردة عن عنصر الزمن والوقت. . .

ثانياً: إذا كان العذاب والعقاب فرع المعصية وأن الإثابة والإحسان فرع الإطاعة أي قضية كبرى لصغريات متعددة، تقول: إن الحديث النبوي: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها**»[2].

يقتضي أن الاستنان بالمعصية معصية لمن سنها، وأن العمل الحسن مثوبةٌ وأجر لصاحبها ومن عمل بها.

عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: «أيما عبد من عباد الله سنّ سنة هدى كان له مثل أجر من عمل بذلك، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وأيما عبد من عباد الله سن سنة ضلال كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[3].

وبتطبيق الكبرى على صغرياتها من أصحاب السنن الحسنة أو السنن السيئة يقتضي ذلك تعذيب صاحب السنة السيئة وإثابة الآخر صاحب السنة الحسنة. . .

ولا تشك أيضاً أن الميت في قبره مشمول بالحديث المذكور. وإذا

---

(١) روضة الواعظين.
(٢) حق اليقين، ج٢، ص ١١٤.
(٣) وسائل الشيعة ح١١، ص ٤٣٧.

تمت ولوحظت رفيقاً جميع تلك المقدمات نقول: لا بد من بقاء الناس جميعاً في قبورهم، ومن المفروض أن ينتظر أولئك أصحاب السنن حتى وإن ماتوا منذ آلاف السنين حتى الزمن الأخير لكي يأتي كل بزاده ويصطحب الموتى جميعاً سيحل أعمالهم التي جاءوا بها بأنفسهم أو باستنان السنن. .

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[1].

ثالثاً:[2] **لقد ورد في الحديث عن النبي** ﷺ عن عذاب القبر ـ أن أشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العينين أو شرطه حجام ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي لم تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزع عند الموت[3].

وقد اتضح لنا من خلال هذا الحديث معنيان:

الأول: إن العذاب البرزخي بالنسبة للمؤمن مخفف، حتى أنه وصفه باختلاج العين أو ألم المشرط عند الحجامة، ولكنه أمرٌ لا بد منه، كما يفيد قوله ﷺ (إنه ليس من مؤمنٍ إلا وله ضمة)[4].

الثاني: والذي فيه بعض الهدف من هذا العالم في أنه نوع من الاقتصاص من المؤمن لتطهير نفسه من الذنوب من أجل نيل الجنة التي وعده بها رب العالمين فإن الله سبحانه وتعالى قد آلى على نفسه أنه إن أحب عبداً،

---

(١) سورة القارعة، الآيات: ٦ ـ ١١.

(٢) الثالث من أجوبة السؤال عن علم وحكمة انتظار الموتى في القبور وعدم الحشر الفردي.

(٣) حق اليقين، ح٢، ص ٧٠.

(٤) الضمة أي ضغطة القبر، حق اليقين، ص ٨١.

وكانت عليه ذنوب أن لا تقوم قيامته إلا وقد استوفاها منه بصور شتى رحمة منه لعباده المؤمنين وتفضيلاً منه لهم على غيرهم وفي معنى الحديث بدايات كثيرة نذكر بعضاً منها. .

فعن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: مر نبي من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج منه قد شعثته الطير، ومزقته الكلاب، ثم مضى فرفعت له مدينة فدخلها فإذا بعظيم من عظمائها ميت على سرير مسجًّى بالديباج حوله المحمرة.

فقال: يا رب أشهد أنك حكم عدل لا تجور.

هذا عبدك لم يشرك بك طرفة عين أمتهُ بتلك الميتة، وهذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين، أمته بهذه الميتة!؟

فقال تعالى. . عبدي أنا كما قلت حكم عدلٌ لا أجور.

ذلك عبدي كانت له عندي سيئة أو ذنب أمته بتلك الميتة لكي يلقاني ولم يبق عليه شيء، وهذا عبدي كان له حسنة فأمته بهذه الطريقة لكي يلقاني وليس له عندي حسنة[1].

وعن أبي جعفر محمد عليه السلام قال: لا يزال الهم والغم بالمؤمن حتى ما يدع له من ذنب[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل له عقوبته في الدنيا وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى بها يوم القيامة[3].

وعنه عليه السلام: «قال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال عزّ وجلّ وعزتي

---

(١) الكافي، ح٢، ص ٤٤٦.

(٢) الكافي، ح٢، ص ٤٤٦.

(٣) الكافي، ح٢، ص ٤٤٥.

وجلالي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أستوفي منه كل خطيئة عملها. إما بسقم في جسده وإما بضيق في رزقه وإما بخوف في دنياه، فإن بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت ـ وعزتي وجلالي ـ لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه، كل حسنة عملها إما بسعة في رزقه وإما بصحة في جسمه وإما بأمن من دنياه فإن بقيت عليه بقية هونت عليه بالموت[1].

إذن. . . وبعد كل ما تقدم للمرء أن يفهم أن الله سبحانه وتعالى اختار تعذيب الفساق من المؤمنين في الدنيا قبل أن يحرقوا بنار الآخرة.

وبعبارة أخرى إن غرضه من ذلك هو الاقتصاص منه في عالم الدنيا، لكي يحشر يوم القيامة وهو من الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يظلمون.

وعلى هذا فليكن عذاب البرزخ نوعاً من الاقتصاص في الجملة. .

رابعاً: لا يشك امرؤ أياً كان مستواه في أن الحشر الجماعي يوم القيامة فيه ما فيه من أثار العزة والكمال الواضح على المؤمنين والذل والهوان البين على الكافرين والعاصين ويكفي ذلك لوحده لأن يكون داعياً للتأخر المتصور والحشر الجماعي. . .

وقد نجد ذلك جلياً عبر جملة صغيرة من آيات الحشر القرآنية.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾[2].

ولا يفوت القارىء الكريم أن الله سبحانه وتعالى جعل الآيتين في

---

(١) الكافي، ح٢، ص ٤٤٤.
(٢) سورة مريم، الآيتان: ٨٥ ـ ٨٦.

صورة مقارنة واضحة بين فئتين وحزبين. حزب الجنة وحزب النار، فبينما يسند عملية حشر الصالحين أصحاب الجنة إلى نفسه بكلمة كانت فيها الوداعة واضحة جلية، نواه جلت قدرته يعبر عن الحشر المقابل نحو النار بالسوق والقيادة التي دلت على شيء، مع ضمّ قرينه كلمة المجرمين إليه، فإنما تُعبرُ عن جلّ معنى الاحتقار الواضح للمقود ونجده عظمت آلاؤه ثانية يعبر عن محل حشر المتقين بالرحمن وأنهم صائرون إليه كناية عن الجنة لما في ضيافة الرحمن من العزة والرفعة والإجلال، لكنه تقدست أسماؤه لم يجد بُداً من التعبير عن محل أصحاب الشياطين بما وضع لهم - جهنم -.

ويجعل سبحانه وتعالى صورة أصحابه وهم يحشرون إلى الجنة بهيئة الوفود لما فيها من آيات الشموخ والإكرام.

نراه يعبر عن الطرف الآخر، دخولهم جهنم، بالورود أي وهم عطاش كناية عن فقدان العمل الصالح.

وفي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام قال أن رسول الله سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن الوفود لا يكونون إلا ركباناً أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله عز وجل ذكره واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم المتقين ثم قال له يا علي أما والذي فلق الحب وبرأ النسمة إنهم ليخرجون من قبورهم وأن الملائكة لتستقبهلم بنوق من نوق الغر عليها رحائل الذهب مكللة بالدر والياقوت وجلائها الاستبرق والسندس وخطيمها جدل الأرجوان تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامة وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفاً حتى ينتهوا إلى باب الجنة الأعظم وعلى باب الجنة شجرة إن الورقة منها يستظل تحتها ألف رجل من الناس وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية.

قال ﷺ: فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الجسد ويسقط عن أبشارهم الشعر وذلك قول الله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[2].

وفي الزرقة أقوال، فقد قيل أن المراد بها زرقة الأبدان من التعب. وقيل إنها أثر ظاهر من شدة ما أصابها بها من العطش.

وقيل عن الفرّاء إن الزرقة هي العمى..

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[3].

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾[4].

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[5].

وفي قوله تعالى: ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ دلالة واضحة على التهديد بشر المكان وعن الضلال إذ لا أضل من أن يسير الإنسان على وجهه، وهو لا يشعر بما في قدامه. وقيل هو الانتقال مكبوباً، وقيل السحب، وقيل هو الانتقال منكوساً من مكان لآخر.

وقيل: إن المراد به فرط الذلة والهوان والخزي...

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6].

---

(١) الكافي، ح٢، ص ١٠٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣٤.
(٦) سورة المؤمن، الآية: ٦٠.

وروي أن الدخور هو الذلة.

أما المتتبع لمفصل هذه الآيات في كتبها فسيجد إجماعاً واضحاً على أن المجرمين أصحاب جهنم تكسوهم يوم الحشر كل سمات الذلة والخزي والهوان. وتصيغهم المهانة من أعلاهم إلى أسفلهم، حتى أنه لا يردد إلا كلمات متكررة مسموعة فيها طفحت سيماء الحسرة والذلة والندامة... «يا ليت أمي لم تلدني» وبعكس ذلك تماماً نجد الخطاب الإلهي الموجه للذين اتقوا وأحسنوا فإن لهم أن يفتخروا مزهوين بما تحمله يمين كل منهم.

فقد قال تعالى في حقهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[1].

خامساً:[2]

قال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[3].

لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى، أن تظهر السلطان المطلق والقدرة على الخلق أجمع، وأنه الواحد القهار، وأنه الأول والآخر، وأنه المحي والمميت، وأن الملك له وحده.

لمن الخطاب في هذه الآية...؟

للذي شكك في ذلك كله ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ ومعنى برزوهم لله ظهور ذلك لهم وارتفاع الأسباب الوهمية التي كانت تجزيهم إلى نفسها وتجبهم عن

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٢) الخامس من أجوبة السؤال. لماذا البرزخ ـ كما يمكن اعتباره علم إضافية للحشر الجماعي.

(٣) سورة غافر، الآية: ١٦.

ربهم وتغفلهم عن الإحاطة بملكه وتفرده وتوصده في الربوبية والألوهية[1].

نعم فإذا شاء الله موت أهل الأرض أمر بذلك فينفخ فيهم النفخة الأولى فيصعق من في الأرض أجمع.

عند ذلك سوف ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾[2] ويتغير كل شيء وبتنتهي كل قدرة وقوة إلا قوته وقدرته تعالى وعظمته، وينتهي كل جبار وطاغ إلا جبروته تعالى، فينادي القادر المتفرد يوم لا ظلّ إلا ظله «لمن الملك اليوم».

ويجيب بنفسه «لله الواحد القهار» لله الذي لا شريك له ولا مثيل.

خلقهم يـوم شـاء وأراد، وأماتهم يوم شاء وأمر. فكان المتفرد في البدء، والقدير القوي الواحد في النهاية.

فأين من ادعى الألوهية معه، وأين المتكبرون حتى على مقامه تعالى عن ذلك علواً كبيراً...

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام عندما سئل عن النفختين كم بينهما.

قال عليه السلام: ما شاء الله ثم ذكر عليه السلام كيفية النفخ وموت أهل الأرض والسماء إلى أن قال ـ فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السماء فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۞ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾[3].

والمور ـ على ما في المجمع ـ تردد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردد الدخان ثم يضمحل، ويقرب منه قول الراغب: إنه الجريان السريع.

وتبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب،

---

(1) الميزان، ج١٧، ص ٣١٩.

(2) سورة إبراهيم، الآية: ٤٨.

(3) سورة الطور، الآيتان: ٩ و١٠.

ليس عليها جبال ولا نبات كما دعاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلاً بعظمته وقدرته.

قال عليه السلام: فعند ذلك ينادي الجبال جلّ جلاله بصوت من قبله جهوري يُسمع أقطار السماوات والأرض «لمن الملك اليوم» فلم يجبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار عزّ وجلّ مجيباً نفسه «لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ»[1].

وفي نهج البلاغة، أنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا زمان ولا حين ولا مكان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات، ما من شيء إلا الله الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور بلا قدرة منها كان ابتدار خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها[2].

أرجو في ختام الدليل الخامس أن أكون قد بينت بعض ما يمكن أن يكون عله للسؤال المتقدم: «اللهم لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا».

---

(١) الميزان، ح١٧، ص ٣٢٢.
(٢) الميزان، ح١٧، ص ٣٢١.

خاتمة في البرزخ

قد يتساءل بعض.. لقد ذكرتم الكثير الكثير عن أهوال القبر وصعوباته فهل لذلك العبد المسجى ما يخفف عنه.

نقول.. نعم فقد روي عن النبي ﷺ قال: ومن دخل وقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذٍ وكان له بعدد من فيها حسنات[1].

وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام إن الميت ليفوح بالترحم عليه والاستغفار له كما يفرح بالهدية إذا أهديت إليه[2].

وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام من زار قبر أخيه المؤمن وقرأ سورة القدر ثم يقول: «اللهم جاف الأرض عن جنوبهم وصاعد إليك أرواحهم وزدهم منك رضواناً وأسكن إليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم وتونس وحشتهم إنك على كل شيء قدير».

فيكون هو والميت آمناً من الفزع الأكبر[3].

وسئل أبو عبدالله الصادق عليه السلام أنصلي على الميت.

قال عليه السلام: نعم. حتى ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق. فيقال له خفف الله عنك هذا الضيق لصلاة فلان أخيك عنك[4].

ويروى عن عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أنه مر على قبر هو ومجموعة من أصحابه، وأن الله سبحانه وتعالى قد كشف

---

(١) المرآة الناظرة، ص ١٠٣.
(٢) المرآة الناظرة، ص ١٠٥.
(٣) المرآة الناظرة، ص ١٢٥.
(٤) المصدر نفسه.

الغطاء إلى عيسى وحوارييه فرأوا هذا القبر وهو معذب والنار تشتعل فيه، فبدأ عيسى عليه السلام يخبر أصحابه عن سبب ذلك العذاب وهم في المسير إلى غايتهم، وحينما رجعوا شاءت مشيئة الله أن يمروا على نفس ذلك القبر، وكذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد كشف لهم الغطاء وإذا بهم يرون أن هذا القبر وقد أصبح منعماً، فاستغربوا من هذا الأمر، ما بين أن يروا هذا القبر حين الذهاب والنار تشتعل فيه، وإذا بهم اليوم حين العودة يرون هذا القبر وقد أصبح منعماً كأنه روضة من رياض الجنان.

فبادرهم عيسى عليه السلام إلى رفع هذه الحيرة، بأن قال لهم أن الله قد خلق من صلب هذا الرجل الميت ولداً صالحاً حينما بلغ هذا الصبي بدأ يدعو إلى والده، فإن الله سبحانه وتعالى رفع العذاب عن هذا الميت.

لذلك ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله في الحديث الشريف: «الأبناء يخرجون آباءهم من النار».

وكذلك في الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو إليه، أو علم ينتفع به، أو صدقة جارية».

فمن هذه الروايات الشريفة نبيّن أن البرزخ عالم خاص له مقاييسه المعينة تحدد منزلة الإنسان على ضوء أعماله في الدنيا، فهي مقدمة ليوم الحساب الأكبر، فإما أن يتحول القبر روضة من رياض الجنان ونعيم مؤقت، وإما إلى عذاب وجحيم مؤقت كل ذلك يعتبر المنزل الأول والمرحلة الأولى من مراحل الآخرة حيث الحساب الأكبر.

الأولى كانت أعماله إيجابية في الدنيا فإجابته ستكون كذلك وتنتقل روحه إلى النعيم حيث الصالحين والمؤمنين في الروضة المباركة وتبدأ فترة

الانتظار ليوم المحشر، أما لو كانت أعماله في الدنيا سلبية غير صالحة فإجابته ستكون كذلك فتنتقل روحه إلى الجحيم حيث المجرمين والمنافقين كذلك ينتظرون الساعة للحساب الأكبر يوم المحشر.

قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1]. وفي ضوء الأحاديث الكثيرة نستطيع أن نصل إلى أن البرزخ هو أول منزل من منازل الحياة الأخرى كما قال رسول الله ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينجُ منه فما بعده ليس أقل منه»[2].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «يا ذوي الحيل والآراء والفقه والأبناء اذكروا مصارع الآباء فكأنكم بالنفوس قد سلبت والأبدان قد عريت وبالمواريث قد قسّمت فتصير يا ذا الجلال والهيبة والجمال إلى منزلة شعثاء ومحلة غبراء فتُنوَّم على خدك في لحدك... حتى تشق عن القبور وتبعث إلى النشور»[3].

فإذن هذه المرحلة من المراحل الطبيعية التي يمر بها الإنسان كما مر من قبل بمرحلة الأصلاب والأرحام ثم مرحلة الدنيا.. وبعد الموت تكون أرواح المؤمنين في نعيم وسرور على عكس أرواح الكافرين والمنافقين فإنها تعيش في حياة ملؤها الكآبة والعذاب.

هكذا تكون الأرواح في عالم البرزخ وتتحدّد السعادة أو الشقاء على ضوء ما يقدّم الإنسان في حياته الدنيوية من أعمال صالحة وطاعة إلى الله سبحانه وتعالى. فعند انتزاع روحه تبدأ حياته الجديدة فتنفصل الروح عن

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩ و١٠٠.

(٢) حق اليقين، ج٢، ص ١٥٦.

(٣) ميزان الحكمة، ج٨، ص ٨.

البدن، ويترك البدن في القبر بعد أداء المراسيم الشرعية في الدفن. . أما الأرواح فهي التي تعيش الحالة المحددة لها على ضوء صحيفة الأعمال التي تبدر منه في عالم الدنيا.

ومن مرحلة الانتزاع يستطيع أن يعرف المؤمن مصيره الذي ينتظره.

يسأل أحد الأصحاب الإمام الصادق عليه السلام: «يابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟

قال: لا والله إنه إذا ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لأنا أبربك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر.

قال ويمثل له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم.

فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفقاؤك.

قال: فيفتح عينه فينظر فينادي روحه منادٍ من قبل رب القوة فيقول: «يا أيتها النفس المطمئنة إلى محمد وأهل بيته» ارجعي إلى ربك راضية (بالولاية) مرضية (بالثواب) فادخلي في عبادي (يعني محمد وآل بيته) وادخلي جنتي)[1].

فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي، على عكس الكافر والمنافق والمنحرف فإنه يصرخ بالبكاء والعويل ويريد البقاء في الدنيا لأن الدنيا جنة الكافر قياساً بالعذاب المنتظر له والدنيا سجن المؤمن قياساً بالنعيم الذي ينتظره.

---

(١) الكافي، ج١، ص ٢٩٩.

وهكذا تعود الروح إلى البدن كما تعود القوة الكهربائية لجهاز التبريد بعد انقطاعه فترة زمنية أو جهاز الهاتف، فالروح بمثابة القوة الكهربائية للبدن فتحل الروح بالبدن في القبر فترة التساؤل فيجلس الميت ويرد على الأسئلة الموجهة إليه ثم تخرج الروح كما في الروايات الكثيرة منها:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «كأن قد أوفيت أجلك وقبض الملكُ روحك وصرت إلى منزل وحيداً فردًا إليك فيه روحك واقتحم عليك فيه ملكاك: منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك ألا وإن ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي أرسل إليك وعن دينك الذي تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه ثم عن عمرك فيما أفنيته ومالك من أين اكتسبته وفيما أتلفته فخذ حذرك وانظر لنفسك وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمساء له والاختيار»[1].

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له: من ربك؟

فيقول: ربي الله.

فيقولان له: وما دينك؟

فيقول: ديني الإسلام.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

(١) العقائد الإسلامية، ص ٥٥٥.
(٢) حق اليقين، ح٢، ص ٥٥.



الفصل الرابع

مشاهد وأحداث عن يوم القيامة

- المبحث الأول: ملامح وأهوال دار العذاب...
- المبحث الثاني: الصراط..
- المبحث الثالث: العقبة..
- المبحث الرابع: الشفاعة..
- المبحث الخامس: ملامح دار النعيم..
- المبحث السادس: مناقشة لموضوع المبالغات في الثواب والعقاب..



المبحث الأول:

ملامح وأهوال دار العذاب

لقد كان عزمي منذ اللحظة الأولى التي بدأت بها الكتابة عن هذا الموضوع، هو التجرد تماماً عن المواضيع ذات الطابع القصصي لأحاديث الرسول ﷺ والآيات الكريمة التي قد تبدو خالية من البحوث العلمية الحديثة أو النتائج والاستنتاجات العقلية. إذ أن محاولة الاقتصاد مع الإكثار على سرد الآيات القرآنية، فالسنة النبوية كما هو الملحوظ في بعض المطبوعات الحديثة قد توحي للقارىء الكريم أن الباحث لم يولد شيئاً جديداً ولم يحل عقدة مستعصية، وقصارى ما بذله هو النقل الأمين، فيكون مردود ذلك سلبياً عليه.

لكن على الرغم من ذلك كله وجدت من خلال مراجعتي لبعض كتب الحديث، وملاحظتي لجملة من الآيات القرآنية التي حاولت وبشتى الكيفيات انتزاع صورة مجسمة من صور أيام يوم القيامة، فكانت غاية في تأثيرها المباشر على النفس حيث أن الغرض من ذلك كله هو إرشاد النفس الإنسانية ما فيها صلاحها ونجاتها إلى مكامن هربها وهلاكها. فهي تارة تقشعر منها هولاً وذعراً، وتمتلىء تارة أخرى نشوة وأملاً فما كان مني إلا أن تنازلت عن عزمي الأول فذكرت جملة من تلك الفصول راجياً أن يكون درساً بليغاً ومذكراً ذكياً، لذا بعد أن تمكنت قضية المعاد منها.

«ملامح وأهوال دار العذاب»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[1].

تحذير من القوي العزيز ووعد ووعيد من هول المطّلع يوم القيامة الذي من اشتراطه وعلاماته خراب الأرض واندكاك الجبال بل وانقلاب كل ما هو مألوف وطبيعي عند البشر و﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[2].

وإذا ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[3].

من عذاب الله لا مفر ولا ملجأ هنالك.

يوم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[4].

إذن هي مشاهد الانقلاب التام الممهد لموقف الحساب فلا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا جبال فقد اهتز كل شيء وتحرك كل عن مكانه، فتلك الجبال الرواسي أصبحت يومها فتيتاً ورميماً متطايراً في الهواء، وهذه الأرض المنبسطة زلزلت ورجت واضطربت دافعة بكل ما بجوفها من موتى. وفي

---

(١) سورة الحج، الآية: ١.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٤.

(٣) سورة القيامة، الآيات: ٨ ـ ١٠.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢.

وسط هذا كله يأمر الله سبحانه وتعالى للجحيم أن استعري فتؤجج نيرانها، وإلى الجنة أن تُهيىء فتلبس حلتها وتتزين بزينتها عندها ﴿ يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾[1] ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[2].

فلا تقبل يومئذ الأعذار وقد ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[3].

وقد روي في الكافي عن علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عزلاً مهلاً جرداً مرداً، في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا المحشر فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي وقتئذ أنفاسهم ويكثر عرقهم وتضيق بهم أمورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع أصواتهم.

قال عليه السلام: وهو أول هول من أهوال يوم القيامة.

قال عليه السلام: فيأمر الجبار ملكاً من الملائكة فينادى فيهم يا معشر الخلائق أنصتوا واستمعوا منادي الجبار.

قال عليه السلام: فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم.

قال عليه السلام: فتنكسر أصواتهم عند ذلك وتخشع أبصارهم وتضطرب فرائصهم وتفزع قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٣) سورة طه، الآية: ١٠٨.

قال عليه السلام : فعند ذلك يقول الكافر هذا يوم عسير.

قال عليه السلام : فيشرف الله الحكم العدل فيهم فيقول: أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجور اليوم، أحكم بينكم بعدلي وقسطي، لا يظلم اليوم عندي أحد.

اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقه ولصاحب الظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات، وأثيب على الهبات، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ولا أحد عنده مظلمة إلا مظلمة يهبها لصاحبها وأثيبه عليها وآخذ له بها عند الحساب فتلازموا أيها الخلائق واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا وأنا شاهد لكم بها عليهم وكفي بي شهيداً.

قال عليه السلام : فيتعارفون ويتلازمون فلا يبقى أحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها.

قال عليه السلام فيمكثون ما شاء الله، فيشتد حالهم فيكثر عرقهم.

وفي رواية أخرى يكون عرقهم إلى أفواههم، ويشتد غمهم وترتفع أصواتهم بضجيج شديد، فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها.

قال عليه السلام : ويطلع الله عز وجل على جهدهم فينادي مناد من عند الله عز وجل يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، يا معشر الخلائق أنصتوا لداعي الله تبارك وتعالى واسمعوا. إن الله تبارك وتعالى يقول لكم أنا الوهاب إن أحببتم أن تواهبوا فتواهبوا وإن لم تتواهبوا أخذت لكم بمظالمكم.

قال عليه السلام : فيفرحون بذلك لشدة جهدهم وضيق مسلكهم وتزاحمهم.

قال عليه السلام : فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه ويبقى بعضهم فيقول يا رب مظالمنا أعظم من أن نهبها.

قال عليه السلام: فينادي منادي من تلقاء العرش أي (رضوان) خازن الجنات جنات الفردوس.

قال عليه السلام: فيأمر الله عزّ وجلّ أن يطلع من الفردوس قصراً من الفضة بما فيه من الآنية والخدم.

قال عليه السلام: فيطلعه عليهم في حفافة القصر الوصائف والخدم.

قال عليه السلام: فينادي مناد من عند الله تبارك وتعالى، يا معشر الخلائق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر.

قال عليه السلام: فيرفعون رؤوسهم فكلهم يتمناه.

قال عليه السلام: فينادي منادٍ من عند الله تبارك وتعالى، يا معشر الخلائق هذا لكل من عفا عن مؤمنٍ.

قال عليه السلام: فيعفون كلهم إلا القليل.

قال عليه السلام: فيقول عز وجل لا يجوز جنتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ولا أحد من المسلمين عنده مظلمة حتى نأخذه منه عند الحساب.

أيها الخلائق استعدوا للحساب.

قال عليه السلام: ثم يخلي سبيلهم فينطلقون إلى العقبة يسوق ويدفع بعضهم بعضاً حتى ينتهوا إلى العرصة، والجبار تبارك وتعالى على العرش مستولٍ عليه ينفذ حكمه عنده قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين وأحضر النبيون والشهداء وهم الأئمة يشهر كل إمام على أهل عالمه بأنه قد قام فيهم بأمر لله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله[1].

---

(١) حق اليقين، ج٢، ص ١١٦.

وروى الصدوق في الأمالي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة وقف عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من أهل الجنة، فقير في الدنيا وغنيٌّ في الدنيا.

فيقول عليه السلام: الفقير علام أوقف في عزتك إنك لتعلم أنك لم تولني ولاية فاعدل فيها أو أجور ولم ترزقني مالاً فأؤدي منه حقاً أو أمنع ولا كان رزقي يأتيني منها إلا كفانا على ما علمت وقدرت لي.

فيقول الله جل جلاله صدق عبدي خلوا عنه يدخل الجنة ويبقى الآخر حتى يسيل منه العرق ما لو شربه أربعون بعيراً لكفاها.

ثم يدخل الجنة فيقول له الفقير ما حسبك. فيقول: طول الحساب. ما زال الشيء يجيئني بعد الشيء يغفر لي ثم أسأل عن شيء آخر حتى تغمدني الله عزّ وجلّ برحمته وألحقني بالتائبين فمن أنت؟

فيقول الفقير: أنا الذي كنت معك آنفاً.

فيقول: لقد غيرك النعيم بعدي..[1].

فعلى هذا الأساس فإن القيامة تقوم طبقاً للوعد الإلهي حيث لا يخلف الله وعده ويعاد الخلائق من الأولين والآخرين إلى الحياة بأمر الله القادر المتعال، وتشكل محكمة العدل الإلهية حيث الحاكم المطلق دون قيد أو شرط هو الذات الإلهية المقدسة، ويصدر الله أحكامه بحق أهل الجنة وأهل النار.

فإن ذلك العالم لا وجود فيه للظلم والجور والتباني والتحزّب والترغيب والترهيب وتضييع الحقوق في يوم القيامة، وإن جميع الأحكام والأوامر تصدر يوم الجزاء من قبل الباري (تعالى) بشأن أهل المحشر إنما

---

(١) حق اليقين، ج٢، ص ١١٤.

تستنـد إلـى إحـدى صفتي الله القادر المتعال. فهي أحكام تستند إلى العدل والقسط ـ وفقاً لما تتضمنه صحيفة الفرد ـ.

أما فيما ورد في الحديث عن المحاسبة والعفو، فإنها تحصى وتدرس بدقة في كل تفاصيلها، وبعد ذلك ـ وعلى ضوء ما هو مكتوب ومدون في صحيفة الأعمال ـ يصدر الحكم العادل بحق الشخص.

وفي مجال العفو والرحمة فإنه لا محل للحديث عن محاسبة الأفراد على أعمالهم الصالحة أو السيئة، والتدقيق في تفاصيل صحائف أعمالهم، بل إن الحديث هنا هو عن المغفرة والعفو والفضل الإلهي والرحمة الإلهية. هذه الرحمة التي تلقي بظلالها في كل مكان يوم القيامة لتشمل كافة أبناء البشر ممن يستأهلون الرحمة ويستحقون الفضل الإلهي هذه الرحمة التي وسعت كل شيء، وحتى (العصاة الأشقياء مثل إبليس) الذين هم مطرودون من قبل الله، يطمعون أيضاً بالرحمة الإلهية ويأملون بالعفو الإلهي.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته»[1].

إن هـذه الـرحمـة الإلهيـة وهـذا التفضـل من جانب الباري (سبحانه وتعالى) يحي الأمل في قلب الشخص المؤمن بإمكانية النجاة من عذاب يوم القيامة، ويعده بالعفو والمغفرة الإلهية، كما أن التفكر بالعمل الإلهي يجعل المؤمن الحقيقي يشعر بالخوف من عذاب يوم القيامة. كما يجعله يشعر بالقلق للمعاصي والذنوب التي ارتكبها، وكلتا هاتين الحالتين (أي الأمل بالعفو والمغفرة الإلهية والخوف من عذاب القيامة) يجب أن تكونا موجودتين في ضمير الفرد.

---

(١) الأمالي، ص ١٢٣.

«بسم الله الذي لا أرجو إلا فضله ولا أخشى إلا عدله»[1].

الناس في مسرح القيامة...

وأكدت الكتب السماوية أن الله يحيي الخلائق جميعاً من الأولين والآخرين حيث يحاسب الظالمين والمظلومين ويشير رسول الله ﷺ.قال: «إن لله ملكاً ما بين شفري عينيه مسيرة مئة عام فما ظنك بنفسك مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منكرين لشدة اليوم مستشعرين بما بدا من غضب الله على عباده ولا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا وهم يخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا المأخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهانة لشدة ذلك اليوم... ثم تقبل الملائكة فينادون واحداً واحداً يا فلان برز فلان هلمّ إلى موقف العرض، وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول وتتمنى أقوام أن يذهب بها إلى النار، ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا ينكشف سترهم على ملأ الخلائق، فعند ذلك يخرج النداء يا جبرائيل آت بالنار فيأتي بها. فيقول: يا جهنم أجيبي خالقي ومالكي وزفرت إلى الخلائق مبثوثة غضباً على من عصى الله تعالى وخالف أمره»..[2].

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وأعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار فارحموا نفوسكم فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا فرأيتم جزع أحدكم من شوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيج ضجر وقرين شيطان،

---

(١) الصحيفة السجادية، دعاء يوم الأحد.

(٢) جلاء الكروب، ج١، ص ٣٧٤.

أعلمتم أن مالكاً إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته، أيها العبد الكبير الذي قد لهزه القتر كيف أنت إذا لحمت أطواق النار بعظام الأعناق وانشبت الجوامع حتى أكلت لحوم الواعد فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها[1]..

وفي دعاء سيد الساجدين عليه السلام بعد صلاة الليل[2]..

اللهم إني أعوذ بك من نار تغلّظت بها على من عصاك وتوعدت بها من صدف عن رضاك، ومن نار نورها ظلمة وهيّنها أليم، وبعيدها قريب، ومن نار تذر العظام رميماً، وتسقي أهلها حميماً، ومن نار لا تبقي على من تضرع إليها، ولا ترحم من استعطفها ولا تقدر على التخفيف عمّن خشع لها واستسلم إليها، تلقي سكانها بأحرّ ما لديها من أليم النكار وشديد الوبال، وأعوذ بك من عقاربها الفاغرة أفواهها وحياتها العالقة بأنيابها، وشرابها الذي يقطع أمعاء وأفئدة سكانها، وينزع قلوبهم، واستهديك لما باعد منها وأحد عنها.

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) الصحيفة السجادية.

محكمة العدل الإلهي..

من خلال تلك الحياة الجماعية وفي يوم النشور، يتحقق الوعد الإلهي ويوقف الظالمون في موقف الحساب حيث يواجهون مع الظالمين فينفذ عندها قانون العدل الإلهي، وتستوفى حقوق المظلومين من الظالمين.

وفي ذلك اليوم يقف الله ليخاطب البشر وهم يقفون في المحشر ويقول لهم: **«أنا الله لا إله إلا أنا الحُكُم العدلُ الذي لا يجورُ اليوم احكُمُ بينكم بعدلي وقسطي لا يظلمُ اليوم عندي أحدُ اليوم آخذُ للضعيف من القوي حقه»**[1].

إن الإنسان في عالم الطبيعة هو الموجود الحي الوحيد الذي خلق حراً، يتمتع بقوة العقل وبإمكانه أن يسيء استغلال حريته، ينتهك حقوق وحدود الآخرين ويكون كالسبع الضاري الذي لا يألو جهداً في التعدي على الغير وكأنه الإله على هذه الأرض. وفي يوم القيامة يواجه العذاب الإلهي بسبب ظلمه للآخرين.

وقد متع الله الإنسان بالهداية لكي لا تكون الحرية التي هي نعمة إلهية كبرى سبباً في ضياع الإنسان وسقوطه أخلاقياً، وجعله يميل نحو الظلم وينحرف عن طريق الحق، ولكي يتم الله الحجة على البشر في كل عصر وزمان، فإنه أبلغ الأحكام والتعاليم الدينية التي هي طريق سعادة البشرية وفلاحها إلى الناس عن طريق الأنبياء، أما من طغى وتعدى على حقوق الله

---

(١) علم اليقين، ص ٩٢١.

وعدم تنفيذ أحكامه فإن النار مثواه ومن اتقى فإن الجنة جزاءه وكان الله سبحانه وتعالى قد جعل للإنسان مقعدان مقعد في الجنة إذا اتقى ومقعد في النار إذا شذ عن ساحة قدسه.

فعن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة أشرفوا فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم في النار. فيقال هذه منازلكم التي لو عصيتم ربكم لدخلتموها فلو أن أحداً مات فرحاً لما أهل الجنة ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب.

ثم ينادون يا معشر أهل النار ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى منازلكم في الجنة فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم فيقال لهم هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم لدخلتموها. قال فلو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار ذلك اليوم حزناً فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، وهؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

أما سائر المخلوقات الحية في عالم الطبيعة من نباتات وحيوانات فإن الهداية التكوينية من الله تلبي كافة الاحتياجات والمتطلبات المعيشية لهذه المخلوقات الحية، أي بعبارة أخرى: إن الله سبحانه وتعالى نظم البرنامج الحياتي والمعيشي للنباتات والحيوانات في هذا العالم عن طريق الهداية التكوينية، فإن كل كائن حي من نبات وحيوان يسلك طريقه (في عالم الطبيعة) وفقاً لجبر الخليقة، فالأشجار والنباتات ـ بفضل الخليقة التكوينية ـ تثبت من تحت التربة وتمتص المواد الغذائية من الأرض وتنمو وتعطي الثمار.

وكذلك بالنسبة للحشرات والحيوانات فإنها ـ وبفضل الهداية

---

(١) حق اليقين، ج ص ١٥٦.

التكوينية ـ تبحث عن الغذاء والماء، وتبني بيوتها وأعشاشها وتتكاثر وتتناسل وتحافظ على حياتها الفردية والنوعية.

والإنسان رغم أنه من الكائنات الحية في عالم الطبيعة إلا أنه يختلف عن النباتات والحيوانات من جهة.

فالكائنات الحية في هذا العالم (ما عدا الإنسان) هي كلها موجودات ذات بعد واحد وتتمتع فقط بالهداية التكوينية.

أما الإنسان العاقل الحر فهو ذا بعدين ويتمتع بهدايتين إحداهما تكوينية وأخرى تشريعية وكذلك يكون هنالك توافق بين الإرادتين فكل يستمد القوة من الآخر.

فالهداية التكوينية عبارة عن الفطرة الكامنة في وجود كل إنسان بموجب المشيئة الإلهية، وهي لا تحتاج إلى تدريس أو تعليم.

أما الهداية التشريعية فهي عبارة عن تلك التوجيهات وتلك الهداية التي قدمها الأنبياء للناس وعلموها لهم.

والهداية التكوينية يتمتع بها الإنسان من خلال جبر الخليقة أو فقل هي العبودية القهرية كما هو الحال في سائر المخلوقات الحية الأخرى وأن أي إنسان ليس مخيراً أبداً فيما يتعلق بالهداية التكوينية كعمر الإنسان فإن الإنسان مثلاً الآن عمره عشرين بعد عام سيصبح واحد وعشرين لا يستطيع أن يوقفه. مثال آخر الإنسان الآن شعره أسود بعد سنين سوف يصبح أبيض فهذا أمر فهري على الإنسان لا يستطيع أن يغير فيه لأن الإرادة التكوينية جعلته أمراً قهرياً وكذلك الموت وخفقان القلب ودوران الدم في الجسم.

أما بالنسبة للهداية التشريعية فلا وجود لجبر الخليقة فيها حيث أعطى الله الإنسان حرية في التصرف وجعله مخيراً في رفض أو قبول دعوة الأنبياء.

فالإنسان يستطيع أن يكون موحداً لله ومشركاً مطيعاً لله أو عاصياً له صالحاً أو فاسقاً.

ويستطيع هذا الإنسان وبشكل عام أن يقبل الهداية التشريعية الإلهية ورسالة الأنبياء وينال بالتالي ويحصل على - السعادة الأبدية - كما يستطيع أن يرفض دعوة الأنبياء ويعيش عمره في ضلال ليواجه بالتالي السقوط والضياع في الدنيا وفي الآخرة حيث سوف يكون مصيره ناراً لا يستطيع هذا الجسد الطري أن يتحملها بما فيها من قوة إحراق وتدمير كما وصفها النبي ﷺ في خبر المعراج.

في تفسير القمي رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام: في خبر المعراج.

قال: قال النبي ﷺ سمعت صوتاً أفزعني. فقال لي جبرائيل: أتسمع يا محمد. قلت نعم. قال هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاماً فهذا حين استقرت، قالوا. فما ضحك رسول الله ﷺ حتى قبض. قال فصعد جبرائيل وصعدت، حتى دخلت سماء الدنيا فما لقيني ملك إلا وهو ضاحك مستبشر حتى لقيني ملك من الملائكة لم أرَ خلقاً أعظم منه كريه المنظر ظاهر الغضب. فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء، إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت من هذا يا جبرائيل؟ فإني قد فزعت منه. فقال يجوز أن تفزع فكلنا نفزع منه، إن هذا مالك خازن النار، لم يضحك قط، ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد كان قبلك. أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك، ولكنه لا يضحك، فسلمت عليه. فرد السلام عليَّ وبشرني بالجنة. فقلت لجبرائيل، وجبرائيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم آمين، ألا تأمره أن يريني النار. فقال له جبرائيل: يا مالك، أرِ محمد النار تكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها

فخرج منها لهب ساطع في السماء وفادت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت. فقلت يا جبرائيل قل له فليرد عليها غطاءها فأمرها. فقال لها ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه..

وفي تفسير القمي عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام قال. قلت له: يا ابن رسول الله خوفني فإن قلبي قد قسا.. قال: يا أبا محمد استعد للحياة الطويلة فإن جبرئيل جاء إلى النبي وهو قاطب، وقد كان قبل ذلك يجي وهو مبتسم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا جبرائيل تجيئني اليوم قاطباً. فقال يا محمد، قد وضعت منافخ النار. فقال وما منافخ النار يا جبرائيل. فقال يا محمد إن الله عزّ وجلّ أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة، لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من ت... ولو أن حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها، ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار علق بين السماء واورض لمات أهل الدنيا من ريحه قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى جبرائيل فبعث الله إليها ملكاً...

فقال لهما أن ربكما يقرئكما السلام ويقول قد آمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: فما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرائيل مبتسماً بعد ذلك ثم قال: إن أهل النار يعظمون النار وأهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم وإن جهنم إذا دخلوها هو وفيها مسيرة سبعين عاماً. فإذا بلغوا أعلاها، قمعوا بمقامع الحديد، هذه حالهم. وهو قول الله عز وجل: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم...

قال عليه السلام حسبك يا أبا محمد. قلت حسبي، حسبي.

المبحث الثاني:

الصراط

الصراط: هو الطريق والسبيل، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى في الآية «اهدنا الصراط المستقيم» حيث وصف الصراط بالاستقامة ثم بين أنه الصراط الذي يسلكه الذين أنعم الله عليهم، فالصراط الذي من شأنه ذلك هو الذي سئل الهداية إليه وهو بمعنى الغاية للعبادة: أي أن العبد يسأل ربه أن تقع عبادته الخالصة في هذا الطريق.

أما شرعاً: فهو الحد الفاصل بين الجنة والنار فإذا اجتازه الإنسان ذهب إلى الجنة، وأنه لا يدخل الجنة إلا من اجتازه، وأنه لا يعبره إلا خالص المؤمنين براحة كالبرق الخاطف، وبعضهم يعبره بصعوبة لكنه يجتازه وينجو بنفسه، وبعض المارة يقعون في جهنم من بعض عقبات الصراط، وهو نموذج من صراط الدنيا المستقيم، حيث الدين الحق وطريق الولاية، فمن مال عن صراط الدين وعدل عنه إلى الباطل قولاً وفعلاً وعملاً، فقد ارتجف من عقبة الصراط صراط الآخرة وسقط إلى الجحيم.

وعليه فإن الصراط صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: الصراط: هو الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان، صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على

الصراط الذي هو حمير جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه في الآخرة فتردى إلى النار»[1].

أي أن الصراط في الدنيا على ما بينه الإمام الصادق عليه السلام هو الإمام والذي يكون دالاً على طريق الله سبحانه وتعالى فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الصراط المستقيم هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام»[2].

وفي معاني الأخبار عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب، ولا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وصيه، ونحن أركان توحيده ونحن مواضع سره، وعن ابن شهراشوب عن تفسير وكيع بن الجراح عن الثوري عن السدي عن أسباط ومجاهد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ قال: قولوا معاشر العباد! «أرشدنا إلى حب محمد وآل محمد».

ولا فرق بين أهل المذاهب الأربعة وبين المذهب الشيعي فهم إطلاقاً يتفقون على وصفه، وعلى أنه جسر منصوب على النار وأنه أحد من السيف وأدق من الشعرة، والعقبات السبع كلها متفق عليه.

ولكن هناك فارق قليل بين أهل المذاهب الأربعة وبين الشيعة الإمامية، فالمذاهب الأربعة يقولون: يعبر هذا الإنسان وهو الذي يحمل كتابه في يمينه والنار من حولهم وهي تحت أقدامهم وفوق رؤوسهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم وإمامهم، ودليلهم على هذا استشهادهم بالآية الكريمة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ والنار تعمل في أجسادهم وجلودهم ولحومهم حتى يجوزها كالفحم

(١) معاني الأخبار، ص ٦٩.
(٢) تفسير العياشي، ج١، ص ٢٤.

سوداً إلا من نجا منهم ومنها، ومن يجوزها لا يخشى شيئاً من أهوالها ولا يناله شيء من نيرانها حتى إذا جاوزها يقول: أي الصراط ومن غير مشقة.

ويقولون إذا صعدوا يرون النبي ﷺ ويلتفت عليهم وإليهم ويقول النبي ﷺ: من أنتم؟

فيقولون: نحن أمتك.

فيقول: هل كنتم على شريعتي فيقولون: لا، فيبرأ منهم ويتركهم يقعون في جهنم.

ثم تأتي أخرى فيقول لهم النبي ﷺ كما قال للأولى: «هل كنتم على شريعتي.

فيقولون: نعم.

فيقول ﷺ جازوا على الصراط ولا يقعوا... أما إذا قالوا لا وقعوا في النار ويبقون على شفاعة النبي ﷺ لمدة ألف عام، وبعد ذلك يشفع لهم النبي ﷺ بعد وقوعهم في النار» والقول طويل ولقد أخذنا منه الكفاية.

وهذا قول أهل السنة وجميع المذاهب الأربعة هذه أقوالهم بالمسلمين والصراط.

ويختلف عنهم أبو بكر وعمر وعائشة، فينضمون إلى كافة الشيعة والشيعة طبعاً الإمامية الاثني عشرية الذين يقولون بالأئمة الاثني عشر من آل محمد ﷺ ما نصه:

«قال الشيعة أن الصراط لا يعبره إلا من كان قد والى علياً وأبناءه الأئمة الأحد عشر وتستند الشيعة على أن هناك عقبة تسمى الولاية، فكل العقاب عندهم صحيحة أي السنة والشيعة. إنما الفرق عقبة واحدة عند الشيعة وهي

عقبة الولاية، وهم أي الشيعة يستشهدون بالآية الكريمة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[1].

فيقولون ليسأل المرء يوم القيامة والعبور على الصراط عن الولاية، والولاية هنا ولاية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام التي جاء فيها القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2].

وهذا يعني أن ولاية الله وولاية الرسول وولاية الإمام علي عليه السلام معطوفة على ولايتهما، أي ولاية الخالق وولاية الرسول، ولا شك أن الولاية لا تعطي لمن هو بعيد عن الله وعن الرسول.

والخلاصة: قلنا أن الفريقين متفقون على الصراط وجميع ما فيه، إنما الفرق عندهم هو العبور.

فالسنة يقولون من جاء وهو مؤمن على شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعبر كالبرق.

أما الشيعة: تقول نفس القول ولكن يقولون بشرط الولاية وولاية الإمام علي عليه السلام يعني نهجه ودينه الذي أراده الله ورسوله، يعني لا انحراف ولا تغير في دين محمد، ويقولون أن الجواز على الصراط مرهون بحب علي وأبنائه فكل الأمة الإسلامية من صغيرها إلى كبيرها تتوقف وتسأل عنها وعن العمل بها..

وعليه فإننا نستطيع أن نقول أن الطريق الذي تسلكه الكائنات الحية في هذا العالم بشكل طبيعي طول فترة حياتها في الدنيا، هو طريق مرسوم من قبل الله سبحانه وتعالى، وهو الصراط الإلهي المستقيم، وكل موجود أو كائن حي

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و٥٦.

مجبر على اجتياز مسيره التكويني المقرر المرسوم له في إطار نظام الخلقة الحكيمة، وليس بإمكانه أن يحيد ولا خطوة واحدة عن هذا الصراط الإلهي:

﴿مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1].

إن الإنسان الذي هو من الكائنات الحية في عالم الطبيعة، وهو من حيث البعد الحيواني والهداية التكوينية كسائر الدواب التي تعيش فوق هذه الأرض، محكوم وخاضع لأمن البارىء (تعالى) وهو مجبر على السير في الصراط المستقيم ولكنه من حيث البعد الإنساني والهداية التشريعية يتمتع بحرية العمل وحرية رفض أو قبول تلك الهداية التشريعية.

وعلى أساس حرية الاختيار هذه فإن النبي ﷺ مكلف (من قبل الله) ـ بأن يبين للناس الصراط الإلهي المستقيم، ويدعوهم لتصديق دعوته واتباع نهجه وسلوكه.

وعلى أية حال فالأعمال التي يقوم بها الإنسان بمحض إرادته، سواء أكانت سيئة أو صالحة تصبح بمثابة الطوق الذي يعلن في عنق صاحبها وتكون ملازمة له باستمرار لا مفر له منها ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾[2].

وقيل معناه: جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة.

فيكون معناه: «كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها، إن كان محسناً فطائر ميمون، وإن أساء فطائر مشؤوم»[3]. نعم حسبنا مما تقدم في بيان

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

(٣) المناقب، ابن شهراشوب.

صفـات النـار وخصـوصياتها وعقوباتها أجارنا الله تعالى منها، وأما قضية الصـراط فقـد روي فيـه الكثير وتحدثت عنه كتب جمة حسبنا منها ما رواه علي بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام: قال لما نزلت هذه الآية ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ سئل عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره، إذا برز الخلائق وجميع الأولين والآخرين، أتى بجهنم تقاد بألف زمام يقودها مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد، لها هوة وغضب وشهيق وزفير وإنها لتزفر الزفرة، فلولا أن الله عزّ وجلّ أخرهم للحساب لأهلكت الجميع ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البر منهم والفاجر فما خلق الله عزّ وجلّ عبداً من عباده ملكاً ولا نبياً إلا وينادي ربي نفسي نفسي. . وأنت يا نبي الله تنادي أمتي. . . ثم يوضع عليها الصراط، أدق من الشعرة، وأحد من السيف، عليها ثلاث قناطر. أما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وثانيها فعليها الصلاة، وأما الثالثة فعليها عدل رب العالمين جل وعزّ.

وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ والناس على الصراط. فمتعلق يسير وتزل قدم ويستمسك بقدم، والملائكة حولها ينادون يا حليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم سلم والناس يتهافتون في النار كالفراش، فإذا نجا ناجٍ برحمة الله عزّ وجلّ مرّ بها.

فقال الحمد لله وبنعمته تتم الصالحات وتزكو الحسنات، والحمد لله الذي نجاني منك بعد اليأس بمنه وفضله إن ربنا لغفور شكور. . .

المبحث الثالث:

العقبــة

وعـن الشـافعـي عـن مـالـك عـن حميـر عـن أنس. قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿فلا أقمتم العقبة﴾ إن فوق الصراط عقبة كؤودا. طولها ثلاثة آلاف عام، ألف عام هبوط، وألف عام شوك وحسك. وعقارب وحميات وألف عام صعود. أنا أول من يقطع تلك العقبة وثاني من يقطع تلك العقبة علي بن أبي طالب عليه السلام وقال ﷺ بعد كلام لا يقطعها في غير مشقة إلا محمد وأهل بيته.

- في اجتياز العقبات بحب محمد وآل محمد.

فإن حب آل محمد فوق كل العقبات، لأن حب آل محمد أساس العمل الصالح الحقيقي للمسلم وهو المحك لهم، وبدون حبهم لا يقبل عمل العاملين، وهذا أساس وشرط فهم ركن الإسلام وهم أصل الإسلام وهم فرع الإسـلام وهـم قلـب الإسـلام وهـم أسـاس الإسـلام فبـدمـاء هـؤلاء العتـرة وتضحياتهم وعبادتهم وسلوكهم في المجتمع بنوا قواعد الإسلام بدماء البررة الذين هم شجرة نبوية ومعدن وحي الله وخزان علمه ولولاهم لم يسمع أذان ولا شهادة فهم أهل الكتاب وهم أهل السنة وهم أهل الاستقامة وهم أهل الصراط، وهم أهل القربى وأهل السؤال لهذه الأمة المحرومة.

فيروى أن أحد المسلمين جاء إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام بعد واقعة الطف فبادر الإمام بسؤال.

يابن بنت رسول الله أنتم تقولون أن الإمام الحسين انتصر على يزيد بن معاوية فما هو هذا الدليل على انتصار الحسين.

فقال الإمام علي بن الحسين: يا هذا إذا خرجت إلى بلاد المسلمين هل تسمع صوت المؤذن يصدح بذكر الله ورسوله.

فقال له: نعم يابن بنت رسول الله.

فقال الإمام له: فهذا دليل على انتصار الحسين لأن يزيد وأسلاف يزيد لم يؤمنوا بنبوة النبي محمد ﷺ وأرادوا أن يمحوا أي مظهر من مظاهر الإسلام، فيفضل هذا الدم أُعيدة مبادي الإسلام وعاد الإسلام غضاً طرياً بفضل دماء العترة الطاهرة.

يا لهم من آل فلا آل غيرهم في كتاب الله، وأني أيها القارىء سأوضح لك ذلك كيف بحبهم نستطيع أن نتجاوز هذا العقاب وإهمال يوم القيامة فجميع العقاب من ضغط القبر وعقبة سكرة الموت وعقبة يوم القيامة وعقبة الميزان والحساب وعقبة الصراط وتسليم صحيفة الأعمال. فكل ذلك يتوقف على حب آل محمد الذين قال فيهم الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«هم عيش العِلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتُهُم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام وولائح الاعتصام[1]».

بهم عاد الحق في نصابه. وانزاح الباطلُ عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته. عقلوا الدين عقل وغاية ورعاية لا عقل سماعٍ ورواية، فإن رواة العلم كثيرٌ ووعاته قليل فهم القرة وهم الذرية وهُم القربى وهم الصراط وهم الآل وهم حبل الله المتين وهم الذين قال فيهم رسول الله «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله إني سلم لمن سالمهم وحربٌ لمن حاربهم».

(١) نهج البلاغة.

والذين قال فيهم «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

والذين قال نبيهم رسول الله ﷺ : وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر الله له. هذا الباب الذي غيره بنو إسرائيل فمسخوا قردة وطردوا من رحمة الله حتى أصبحوا من المغضوب عليهم إلى يوم القيامة، لأنهم حرفوا كلمة «حطة». صاروا من الكفرة والمشركين وصار مصيرهم النار. . فهم في المسلمين امتحان وإنهم هم باب حطة. . .

وقوله ﷺ النجوم كان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي، أمان لأمتي من اختلاف في الدين وهذا يعجز القائل فيهم، يعني إذا خالفهم مسلم من المسلمين في أحكام الله عز وجل.

يعني أنه اختلف عن الدين، وإذا اختلف عن الدين اختلف عن الأمة، وإذا اختلف صار من أتباع إبليس.

فعلى هذا يعني أن حبهم هو حب إلى الله ورسوله وأتباعهم أتباع إلى الأحكام التي جاء بها النبي ﷺ في كتابه المجيد.

قال الشاعر:

كل كتاب الله لكن هذا صامت وهذا ناطق مبين

اذ أنهم اعرف الناس بكتاب الله وأحكام الله التي جاءت في كتابه العزيز أي أنهم اقصر الطرق في الوصول الى الله سبحانه وتعالى ورضاه.

فهم الحبل الموصول إلى الله وهم الطريق السالك الامين إلى رضا الله ولا اعتقد ان هناك مخالفاً لهم من المسلمين إلا إذا كان متعصباً ويريد بتعصبه خدمة الآخرين وتشتيت أمر هذه الامة فجميع الامة الاسلامية بجميع اعتقاداتها مطيعة ومحبة إلى أهل ذلك البيت النبوي الشريف.

فالرسول الدين والاسلام والشريعة المقدسة والصحابة تلزمنا وتأمرنا بمتابعة أهل بيته وأهل البيت هم الائمة الإثنا عشر وهم عشيرته وقبيلته وعزّته وذريته وكلهم من فاطمة الزهراء بنته إلى علي بن أبي طالب وهم: عليّ، والحسن بن علي والحسين بن علي، وعليّ بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي بن الحسن عليهم السلام هؤلاء كلهم أئمة للمسلمين.

والاتباع ليس السير خلفهم فحسب، لا بل العمل وفقد منهجهم والسير في طريقهم ونهجهم وصراطهم لأنهم أعرف بتعاليم السماء والمحافظين على دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فهم أعلم الأمة وفي بيوتهم نزل الكتاب وبلغ الكتاب ودرست تلك التعاليم وجميع علوم محمد وعلوم القرآن أودعها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في عترته وذريته لذا يشبههم بسفينة نوح ونجوم السماء وباب حطّة وما كانوا سفينة إلا وهم قد استودعوا الدين وكان وديعة عندهم والسفينة والنجوم وباب حطة لها معانيها ومدلولاتها يعني الذي يتخلف عن السفينة مصيره الغرق والذين يضلون عن الكواكب والنجوم يضلون عن الطريق وباب حطة إن تركوه وقعوا في الضلالة والكفر والطرد من رحمة الله لأن باب حطة باب استغفار.

ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي وليوال وليه وليقتد بأهل بيتي من بعدي، القاطعين فيهم صلتي لا أنزلهم الله شفاعتي».

أليست هذه النصوص تبليغ وإنذار إلى الأمة وواجب على هذه الأمة اتباعها لكي يصلوا إلى بر الأمان.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب».

وقال ﷺ: «لا تزل قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جده فيما أبلاه، وعن ماله فيما أنفقه، ومن أين اكتسبه وعن محبتنا آل البيت».

لقد قال النبي ﷺ:

١ ـ من مات على حب آل محمد مات شهيداً.

٢ ـ ألا من مات على حب آل محمد مات تائباً.

٣ ـ ألا من مات على حب آل محمد مات مغفوراً.

٤ ـ ألا من مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.

٥ ـ ألا من مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

٦ ـ ألا من مات على حب آل محمد يزف الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها.

٧ ـ ألا من مات على حب آل محمد فتح له من قبره بابان إلى الجنة.

٨ ـ ألا من مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزاراً لملائكة الرحمة.

ونحن لا نريد أن نعدد أكثر وأكثر مثل الاذان والامامة وآية البسملة وفي الجانب الأخرى فقد قال رسول الله ﷺ إلا من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، وهذا الحديث لم يخرجه الشيعة بل اخرجه الثعلبي في تفسيره آية المودة من تفسيره الكبير

عن جرير بن عبد الله البجلي عن رسول الله ﷺ وأرسلها الزمخشري في تفسيره.

ثم علينا ان نتابع ما تاله الرسول ﷺ.

١ ـ إلا من مات على بغض آل محمد مات كافراً.

٢ ـ إلا من مات على بغض آل محمد مات يهودياً أو نصرانياً ويحشر يوم القيامة مع اليهود وعليه: فان هذه العقبات وما أكثر ما يمر بها الانسان من حين نزوله إلى القبر إلى حين اعطاءه الجزاء الموعود به من قبل الله سبحانه وتعالى لذلك فان الانسان بيده يستطيع ان يجتاز هذه العقبات بسهولة إذا استطاع ان يقتدي ويعمل بالطريقة التي أوصانا بها النبي ﷺ والأئمة الاطهار، فهم السلوك الذي لا بد لكل مسلم ان يقتدي بهذا السلوك.

أما إذا ابتعد الفرد المسلم عن هذه الطريق وسلك سبلاً أخرى قد تكون بعيدة عما اراده الاسلام من الفرد المسلم.

لذلك فامتياز هذه العقبات مقيدة بسلوكه في هذه الحياة الدنيا، حيث العمل الصالح والالتزام بقوانين السماء هي الموصلة بالفرد إلى الحصول على مرضاة الله سبحانه وتعالى وهي الغاية القصوى التي لا بد لكل فرد خلق على هذه البسيطة ان يحصل عليها إذ يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾

المبحث الرابع:

الشفاعة

الشفاعة: المعنى اللغوي للشفاعة: هي من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله وضدها الوتر، وهو الواحد الذي لم ينضم إلى غيره.

والشفيع: هو من يتداخل في أمر من أمور الناس ليكون عوناً لشخص فيجلب له الخير، أو عوناً عليه فيجلب عليه الشر.

وتنقسم الشفاعة إلى قسمين: شفاعة الدنيا شفاعة الآخرة.

أما شفاعة الدنيا فهي كذلك تنقسم إلى قسمين: فهما خاصتان بالعباد وتقع من بعضهم لبعض لأنها يملكونها وتدخل في مكنتهم.

القسم الأول: الشفاعة الحسنة إذا تنضمت لشخص لتنصره على قضية هو فيها مظلوم، ونال منها الضرر فهذه تسمى شفاعة حسنة ويثاب صاحبها. قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[1].

القسم الثاني: الشفاعة السيئة: وهي أن تنضم إلى شخص لتعينه على باطل وعليك مسؤولية ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣.

الشفاعة في الآخرة: وهي التي سوف تكون الأساس في هذا البحث، هي خاصة لله وحده لا يملكها أحد غير مهما كان، لأنها تتصل بحقوق الله سبحانه وتعالى كما لا يستطيع أحد مهما بلغ شأنه أن يجبر الله سبحانه وتعالى لينال أحد آخر شيئاً قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(1).

أي أن الشفاعة أولاً تكون إلى الله سبحانه وتعالى ومنة من الله بعد ذلك تعطى إلى الأنبياء والأئمة والمؤمنين على ما سنوضحه إنشاء الله، أي أنها (الشفاعة) منة من قبل الله لعباده قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(2).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾(3).

وقوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(4).

فإن الآيات كما ترى تثبت الشفاعة بمعنى الشافعية لعدة من عباده من الملائكة والنار من بعد الإذن والارتضاء، فهو تمليك ولله الملك وله الأمر فلهم أن يتمسكوا برحمته وعفوه ومغفرته وما أشبه ذلك من صفاته العليا لتشمل عبداً من عباده ساءت حاله بالمعصية، وشملته، يليه العقوبة فيخرج عن كونه مصداقاً للحكم الشامل، وعليه فلو كان شفيعاً فإنما هو بإذنه وتمليكه. فقد ثبت بما مر صحة تحقق الشفاعة عنده تعالى في الجملة فيما لا يوجب محذوراً لا يليق بساحة كبريائه تعالى.

---

(1) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(2) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(3) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(4) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

في أمالي الصدوق: عن الحسين بن خالد عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي ثم قال صلى الله عليه وآله إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل، قال الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ قال عليه السلام لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه.

أقول: قوله عليه السلام: إنما شفاعتي هذا المعنى رواه الفريقان بطرق متعددة عن النبي محمد صلى الله عليه وآله.

لذلك فإن الشفاعة والتصديق بها لها جانب تربوي اجتماعي في الدنيا، إذ نجعل العبد مرتبطاً بخالقه يرجو رحمته لأنه مهما عمل في هذه الدنيا فإنه لا يستطيع أن يرد ولو شيء قليل إلى بارئه، فإنه بطبيعته مجبول على حب الشهوات وتمسكه بهذه الشفاعة سوف تجعله يراجع نفسه كثيراً عندما يقدم على معصية، لأن إقدامه سوف يعرضه إلى منع الشفاعة وتجاوز النار إذا كان عاصياً.

ضوابط الشفاعة:

إن الشرط الأساس لشفاعة الشفيع، أو قبول الشفاعة في حق المشفوع له، هو الإذن الإلهي، أي أن شفاعة الشافع تطول في طول شفاعة الله سبحانه وتعالى أي إما أن تكون إلى الله أولاً وبالذات ثم بعد ذلك منةً من الله سبحانه وتعالى تكون للأنبياء والمرسلين والأئمة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

ويمكن التوصل من خلال آيات أخرى إلى شروط أكثر وضوحاً يلزم توفرها في الطرفين أي الشفعاء والمشفوع لهم، ومنها ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

فعليه أن الذي يشفع لا بد من توفر شروط بينها القرآن الكريم ومنها:

١ ـ أن يكون ذلك الشفيع مأذوناً له من قبل الله سبحانه وتعالى لأن ذلك العالم ألا وهو يوم القيامة يكون مقيد بأمر الله سبحانه وتعالى ولا يتقدم أحد ولا يتأخر ولا يتكلم ولا يعمل إلا بإذنه إذن فلا بد من إذن الرحمن في هذا الموضوع.

٢ ـ أن يكون الشفيع قد شهد وشُهدَ له بالحق من خلال عمله بالدنيا في سبيل تحصيل رضى الله سبحانه وتعالى هذا من جانب ومن جانب آخر أن هناك كذلك ضوابط للمشفوع له، إذ ليس كل فرد يكون مؤهل للشفاعة له إذ نحن إذا قلنا أن الشفاعة تكون لكل من هب ودب سوف يخرج هذا الموضوع من الغاية التي وضعها الله سبحانه وتعالى في سبيل الوصول بالعبد للحصول على رضوانه وهي الغاية القصوى التي بعث الإنسان من أجلها لهذه الدنيا.

فعليه: لا بد من وجود ضوابط للمشفوع لهم ذكرها وبينها القرآن الكريم ومنها أن يكونوا مرضيين من عند الله قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

قال الإمام الصادق عليه السلام في عقبه أي عقب الإمام الحسين وذريته.

وليس المراد من كون المشفوع له مرضياً عند الله، أن تكون أعماله كلها مرضية، بل المراد أن يكون الشخص نفسه مرضياً من حيث دينه وإيمانه.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

وهناك كذلك قسم ثالث متعلق بالشفاعة وهم الذين لا تشملهم الشفاعة وقد ذكرت بعض الآيات صفات أولئك الذين لا تشملهم الشفاعة مثلاً في سورة المدثر، يسأل المجرمون عن سبب دخولهم النار، وهؤلاء يذكرون في جوابهم بعض الصفات والأعمال التي أدت بهم لدخول النار، أمثال ترك الصلاة وعدم إطعام المساكين، وتكذيب يوم الجزاء ثم يقول القرآن الكريم بعد ذلك «فما شفعهم شفاعة الشافعين».

وعليه فإن تأثير الشفيع عند الحاكم المشفوع عنده لا يكون جزافياً من غير سبب يوجب ذلك بل لا بد أن يوسّط أمراً يؤثر في الحاكم، ويوجب نيل الثواب، أو التخلص من العقاب، والشفيع لا يطلب من المولى مثلاً أن يبطل مولويه نفسه وعبودية عبده فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يرفع إليه عن حكمه وتكليفه المجعول، أو بنسخه عموماً أو في خصوص الواقعة فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يبطل قانون المجازاة عموماً أو خصوصاً فلا يعاقب لذلك رأساً، أو في خصوص الواقعة، ولا تأثير للشفيع في مولوية وعبودية، ولا في حكم ولا في جزاء حكم، بل الشفيع بعدما يسلم جميع الجهات الثلاثة المذكورة إنما يتمسك:

إما بصفات في المولى الحاكم توجب العفو والصفح كسؤوده، وكرمه، وسخائه، وشرافته.

وإما بصفات في العبد تستدعي الرأفة والحنان وتثير عوامل المغفرة كمذلته ومسكنته وحقارته وسوء حاله».

وأما صفات في نفس الشفيع من قربه إلى المولى وكرامته وعلو منزلته عنده فيقول: «ما أسألك إبطال مولويتك وعبوديته، ولا أن تبطل حكمك ولا أن تبطل الجزاء، بل أسألك الصفح عنه بأن لك سؤدداً ورأفة وكرماً لا تنتفع

بعقابه ولا يضرك الصفح عن ذنبه أو بأنه جاهل حقير مسكين لا يعتني بشأنه مثلك ولا يهتم بأمره أو بان لي عندك من المنزلة والكرامة ما يوجب إسعاف حاجتي في تخليصه والعفو عنه.

فباليقين إن القدر المتيقن من الشفعاء الذين يستطيعون أن يتقدموا بهذه الحوائج التي هي متعلقة بالعباد، وقد توفرت فيهم شروط الشفعاء هم المعصومون.

الشبهات المثارة حول الشفاعة.. والرد عليها

الشبهة الأولى:

إن هناك بعض الآيات القرآنية تدل على أنه في يوم القيامة لا تقبل شفاعة أحد، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٨)﴾(١).

أما عن الآيات النافية للشفاعة فإنها لا تنفي مطلق الشفاعة بل الشفاعة بغير إذن الله وارتضائه.

أما أمثال هذه الآيات، فإنها قد وردت في مقام نفي الشفاعة الباطلة والعشوائية التي لا تخضع لضابطة، إضافة إلى أن هذه الآيات النافية لمنفعة الشفاعة على زعم المستشكل فإنها تنفي الانتفاع عن طائفة خاصة من المجرمين لا عن جميعهم، ثم أن هذه الآيات عامة وتخصص بتلك الآيات التي تدل على قبول الشفاعة التي تكون بإذن الله.

الشبهة الثانية:

يلزم من هذه الشفاعة أن يخضع الله تعالى لتأثير الشفعاء..

والجواب عن ذلك: إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وأنزله

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

إلى الأرض أعطاه بعض الحقوق كمنة من الله سبحانه وتعالى في سبيل رجوع العبد إلى ساحة قدسه وقد أسمى الله سبحانه وتعالى هذا الحق «بعهد الربوبية» أي أن الله أعطى إلى هذا العبد حق الرجوع إلى ساحة قدسه هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الله أعطاه عهداً بقبول هذا الرجوع.

وعليه: فإن قبول الشفاعة كقبول التوبة واستجابة الدعاء لا يلزم منه هذا اللازم الباطل، وذلك لأنه في جميع هذه الأمور تكون أفعال العباد موجبة لحصول القابلية لتقبل الرحمة الإلهية.

ثم أن هذه الشفاعة تحصل بعد صدور الحكم في حق ذلك الإنسان الذي شفع له، أي أن التأثير قد سلب بعد صدور الحكم وتنفيذه، فهي على هذا الأساس تكون منة من الله لمدى رحمته ورأفته وحنانه على عبيده؟

الشبهة الثالثة:

اللازم من هذه الشفاعة أن يكون الشفعاء أكثر رحمة وشفقة من الله الرحيم؟

والجواب عن ذلك: نعم هذا الإشكال صحيح لو كانت هذه الشفاعة التي تكون من الشفعاء في عرض شفاعة الله أي موازية لشفاعة الله ومزاحمة لها، ولكنها في الحقيقة أن هذه الشفاعة وسيلة وطريق جعله الله تعالى إلى نفسه للعفو عن عباده المذنبين، بل بالعكس إنها تعبر عن أسمى مراتب الرحمة الإلهية.

ثم إن هذه الشفاعة تكون بإذن من الله سبحانه وتعالى فإنها تصدر عن رحمة مطلقة من قبل الله.

الشبهة الرابعة:

إذا كـان الحكـم الإلـهي بعـذاب العصاة مقتضى العدالة فيكون قبول الشفاعة في حق هؤلاء العصاة مخالفاً للعدل، ومستلزم لتجرى الناس على المعصية وإغراء لهم على هتك محارم الله. والجواب عن ذلك: أولاً: بالنقض بالآيات الدالة على شمول المغفرة وسعة الرحمة كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1].

والآية في غير مورد التوبة بدليل استثناء الشرك المغفور بالتوبة. وثانياً: بالحل: فإن وعد الشفاعة أو تبليغها إنما يستلزم بحري الناس على المعصية وإغرائهم على التمرد والمخالفة بشرطين:

أحدهما: تعيين المجرم بنفسه ونعته أو تعيين الذي تقع فيه شفاعة تعييناً لا يقع فيها اللبس بنحو الإنجاز من غير تعليق بشرط جائز.

وثانيهما: تأثير الشفاعة في جميع أنواع العقاب وأوقاته بأن تعلقه من أصله قلعاً.

وبالجملة: فإن الآيات النافية للشفاعة أنها لا تنفي مطلق الشفاعة بل الشفاعة بغير إذن الله وارتضائه وأن كل حكم من الأحكام الإلهية ـ سواء الحكم بالعذاب قبل الشفاعة أو الحكم بالنجاة من العذاب بعدها موافق للعدل والحكمة، وموافقة هذين الأمرين كليهما للعدل والحكمة، لا تعني الجمع بين التصديق وذلك لاختلاف موضوعهما.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

الشبهة الخامسة:

إن الله اعتبر اتباع الشيطان سبباً في التعرض لعذاب النار كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

إذن فكيف تتغير هذه السنة الإلهية في مجال الشفاعة.

والجواب عليه:

إن قبول الشفاعة في حق المذنب المتوفر على شروطها من السنن الإلهية التي لا تقبل التغير فكل سنة ثابتة لا تقبل التغير مع ملاحظة القيود والشروط الواقعية لموضوعها ومن هذه السنن الثابتة بسنة الشفاعة، هي ثابتة غير قابلة للتغير والتبديل في خصوص عصاة مخصوصين، يتوفرون على شروط معينة ويخضعون لضوابط خاصة.

الشبهة السادسة:

إن تأثير الشفاعة في النجاة مع العذاب يعني تأثير عمل الآخرين (الشفعاء) في السعادة والخلاص من الشقاء، بينما الآية الشريفة «**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**» تدل على أن سعي الشخص وجهده نفسه هو الذي يوصله للسعادة.

والجواب على ذلك: إن الشخص الذي تشمله الشفاعة، يبذل جهداً وسعياً في سبيل تحصيل مقدمات السعادة وذلك لأن الإيمان وتحصيل الشروط اللازمة لاستحقاق الشفاعة يعتبر جهداً وسعياً في طريق الوصول للسعادة.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٣.

الشبهة السابعة:

الاعتقاد بشفاعة الأئمة وزيارة قبورهم..؟

والجواب عليه:

أما مسألة زيارة قبر النبي ﷺ أو الأئمة عليهم السلام أو قبور بعض الصالحين، وطلب الشفاعة منهم في:

إن الله سبحانه وتعالى قد أذن لبعض في أن يتقدموا للشفاعة بإذن من الله سبحانه وتعالى وقد ذكر القرآن الكريم أوصافهم وقد بيناها في مقدمات بحثنا فلا نطيل.

٢ ـ إن زيارة القبور سواء بالنسبة للنبي ﷺ أو الأئمة فإننا لا نقصد بذلك أن لهم الطاعة والعبادة وأن هذه العبادة تكون في عرض عبادة الله أي موازية لعبادة الله وحاشى لله ولكن عندما يقف المسلم على هذه القبور ليمجد أفكار هؤلاء وجهادهم في سبيل تعليم الناس كيف نعبد الله فنحن نحي فيهم الأفكار والمبادىء التي جاءوا بها، فإننا نلاحظ الغرب يقف على قبر برنارد شو وهو كاتب أوربي ترى طوابير من الناس تذهب إلى زيارته لتحي فيه هذه الأفكار، ثم لينين رجل ملحد كافر نرى كثير من الأناس يقفون طوابير في سبيل الوقوف على قبره، فعلى هذا الأساس ألا يستحق مصلحينا أن نقف على قبورهم ونستلهم من مبادئهم، وقد أوصانا الله ورسوله ﷺ بالمحافظة عليهم في حياتهم وفي مماتهم من خلال السير على طريقهم، فإن المؤمن له كرامة عند الله سبحانه وتعالى وإنشاء الله سنذكر في البحث روائي أحاديث كثيرة وردت في هذا المضمون ومنه التوفيق اللهم احشرنا مع من تحب وترضى.

من تقبل منه الشفاعة..

فيما تقدم سبق وأن عرفت أن الشفاعة تنقسم إلى تكوينية وإلى تشريعية.

فالشفاعة التكوينية: هي جملة الأسباب الكونية شفعاء عند الله بما هم وسائط بينه وبين الأشياء. أما الشفاعة التشريعية: فهي الواقعة في عالم التكليف فمنها ما يستدعي مغفرة في الدنيا من قبل الله سبحانه وتعالى ومن هذه الأشياء التشريعية التي تقبل شفاعتها هي التوبة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1].

ويعم شموله لجميع المعاصي حتى الشرك، ولا بد للتوبة من مقدمات

١ ـ أن تكون هذه التوبة خوفاً من الله..

٢ ـ العزم على عدم العود إليه (أي الذنب) مرة أخرى.

٣ ـ ألا تكون هذه التوبة قد صدرت ووصل الإنسان إلى نهايته أي غررت الروح ورأى أهوال يوم القيامة، فهناك روايات تدل على أن الإنسان حين احتضاره يرى موقعه، أهو في النار أو في الجنة.

ومنه كل ماله ارتباط بعمل صالح، والمساجد والأمكنة المتبركة والأيام الشريفة.

ومنه الأنبياء والرسل باستغفارهم إلى أممهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣ و٥٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

ومنه الملائكة في استغفارهم للمؤمنين قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

ومنه المؤمنون باستغفارهم لأنفسهم ولإخوانهم المؤمنين قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾[3].

ومنهم الشهداء لدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[4]. على تملكهم للشفاعة لشهادتهم بالحق، فكل شهيد فهو شفيع يملك الشهادة غير أن هذه الشهادة كما مر في سورة الفاتحة وسيأتي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[5].

شهادة الأعمال دون الشهادة بمعنى القتل في معركة القتال من هنا يظهر أن المؤمنين أيضاً من الشفاعة فإن الله أخبرهم عز وجل أخبرهم بلحوقهم بالشهداء يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾[6].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٦) سورة الحديد، الآية: ١٩.

«متى يتقدم الشفيع للشفاعة»

لقد تكلمنا في الشفاعة وضوابطها والإشكالات التي دارت حولها ولكن هنالك سؤال في تفكير القاري ألا وهو متى تكون الشفاعة.

فهناك حضور إلى النبي ﷺ والأئمة في نشأة البرزخ وعند مسألة القبر وإعانتهم إياه على الشدائد، فهل تعتبر هذه الحالة نوع الشفاعة التي نبحث فيها.

في الحقيقة أن الأمور التي ذكرناها ليست من الشفاعة، وإنما هو من سبيل التصرفات والحكومة الموهوبة لهم بإذن الله سبحانه وتعالى.

وأعلم أنه يمكن أن يستفاد في كثير من الآيات القرآنية أن وقوع الشفاعة بعد استقرار الحكم الإلهي وإعطاء كل ذي حق حقه وانتهاء كل أهوال يوم القيامة أي ما يتقدم عليه من أهوال يوم القيامة وعظائمها فلا دليل على وقوع شفاعة فيها لذلك فإن الشفاعة تنفع في الفك عن هذه الرهانة والإقامة والخلود في سجن النار.

فتحصل مما مر أن الشفاعة وتقدم الشفيع للشفاعة إنما تقع بعد أن يكون الله سبحانه وتعالى قد فرغ من حساب العباد وأعطى كل ذي حق حقه.

أي أن الشفاعة تقع في آخر موقف من مواقف يوم القيامة باستيهاب المغفرة بالمنع عن دخول النار أو إخراج بعض من كان داخلاً فيها، باتساع الرحمة أو ظهور الكرامة.

بحث روائي في الشفاعة:

وفي سبيل الوصول لفهم الشفاعة فإننا عزمنا على رواية مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة لتكون دليل لفظي في إثبات الشفاعة سواء كان ذلك للنبي ﷺ أو الأئمة أو المؤمنين.

أولاً: في تفسير العياشي: عن سماعة بن مهران عن أبي إبراهيم عليه السلام: في قول الله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاماً ويؤمر الشمس، فيركب على رؤوس العباد، ويلجمهم العرق، ويؤمر الأرض لا تقبل من عرقهم شيئاً فيأتون آدم فيستشفعون منه فيدلهم على نوح، ويدلهم نوح على إبراهيم، ويدلهم إبراهيم على موسى، ويدلهم موسى على عيسى، ويدلهم عيسى فيقول: محمد، فيقال: افتحوا له فإذا فتح الباب استقبل ربه فخر ساجداً فلا رفع رأسه حتى يقال له: تكلم وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه ويستقبل ربه فيخرُّ ساجداً فيقال له مثلها فيرفع رأسه حتى أنه ليشفع من قد أُحرق بالنار فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمد وهو قول الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

أقول: «وفيها دلالة أن المقام المحمود في الآية هو مقام الشفاعة، ولا ينافي ذلك كون غير النبي ﷺ من الأنبياء، وغيرهم جائز للشفاعة وذلك لأن شفاعة النبي الأكرم ﷺ هي فرع من لشفاعته ﷺ كما وأنها تدل أي الرواية أن النبي ﷺ هو أول المتقدمين للشفاعة لأنه خاتم النبيين.

---

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص ٣١٥.

وفي تفسير العياشي[1] عن عبيد بن زرارة قال:

سئل أبو عبدالله عليه السلام: عن المؤمن هل له شفاعة؟

قال: نعم إن للمؤمنين شفاعة.

فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ؟

قال: نعم إن للمؤمنين خطايا وذنوباً وما من أحد إلا يحتاج إلى شفاعة محمد يومئذ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر.

قال: نعم، قال: يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع أُطلب تُعط فيرفع رأسه ثم يخرُّ ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع واطلب تُعط ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع ويطلب فيعطي.

أقول: أما قوله عليه السلام إلا يحتاج شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإن الشفاعة هنا ليس إنقاذ من النار لأن الفرض هو عدم دخوله النار والشفاعة هنا لأجل بزيادة الدرجات والعلو في الجنة فلذلك الاحتياج إلى شفاعة لهذا السبب.

وفي تفسير القمي[2] في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

قال عليه السلام: لا يشفع أحد من الأنبياء ورسله حتى يأذن الله له إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الله أذن له في الشفاعة قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللأئمة من ولده ثم من بعد ذلك الأنبياء.

---

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص ٣١٤.

(٢) تفسير القمي، ج٢، ص ٢٠٢.

وفي الخصال: عن علي عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء ثم الشهداء[1].

أقول: الظاهر أن المراد بالشهداء، شهداء معركة القتال كما هو المعروف في لسان الأئمة في الأخبار لاستهداء الأعمال كما هو المصطلح في القرآن[2].

وفي الخصال في حديث الأربعمائة: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة[3].

وهناك روايات كثيرة في شفاعة سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام وشفاعة ذريتها غير الأئمة وشفاعة الأئمة وشفاعة المؤمنين حتى السقط منهم، ففي الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط يقوم مخبطئاً على باب الجنة فيقال له: أدخل فيقول: لا حتى يدخل أبواي[4].

وفي التوحيد: عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل، قيل: يابن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ومن ارتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟

فقال عليه السلام: ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالندم توبة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم يجب له الشفاعة

(١) الخصال، ص ١٦٢.
(٢) ماذا بعد الموت، ص ١٩٩.
(٣) الخصال، ص ١٧٢.
(٤) الخصال، ص ٤١٧.

وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

فقيل له: يابن رسول وكيف لا يكون مؤمناً من لا يندم على ذنب يرتكبه.

فقال عليه السلام: ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليه إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً والمصر لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وأما قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة[1].

(١) التوحيد، ص ٤٠٧ و٤٠٨.

المبحث الخامس:

ملامح دار النعيم الخالد

وبعيداً عن صور العذاب الأخروي، أو فلنقل هروباً عن ألوان وأهوال الجزاء الإلهي في النار، هناك نعيم خالد، هناك جنة كبرى. هناك فراديس متعددة، هنالك الحوار العين، هناك الحياة الخالدة التي تكون الأكثر شفافية والتي يتمناها كل مخلوق على هذه البسيطة، هناك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[1].

وها نحن على نهجنا المتقدم نحاول ذكر بعض ما للجنة من نعيم من خلال ما وصل إلينا من الحديث..

فعن الباقر عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي أن الوفد لا يكونون إلا ركباناً أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله عزّ وجلّ ذكره واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم المتقين.

ثم قال صلى الله عليه وآله له يا علي: أما والذي فلق الحب وبرأ النسمة إنهم

---

(١) سورة الكهف، ص ١٠٧.

ليخرجون من قبورهم وأن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق الغر عليها رحائل الذهب مكللة بالدر والياقوت وجلائلها الاستبرق والسندس وحطيمها جدل الأرجوان تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامة وعن يمينه وعن شماله يزفونهم زفاً حتى ينتهوا الحباب الجنة الأعظم وعلى باب الجنة شجرة إن الورقة منها ليستظل تحتها ألف رجل من الناس وعن.يمين الشجرة عين مطهرة مزكية.

قال: فيسقون منها شربة فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد ويسقط عن أبشارهم الشعر وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ومن تلك العين المطهرة.

قال: ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة فيغتسلون فيها وهي عين الحياة، فلا يموتون أبداً.

قال: ثم يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً.

قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكة الذين معهم احشروا أوليائي إلى الجنة ولا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم، ووجبت رحمتي لهم، وكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات.

قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم ضرب الملائكة الحلقة ضربة عظيمة تصر صريراً فيبلغ صوت صريرها كل حوراء أعدها الله عزّ وجلّ لأوليائه في الجنان فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة، فيقولون بعضهم لبعض قد جاءنا أولياء الله فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة وتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم. ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك.

فقال الإمام علي عليه السلام يا رسول الله أخبرنا عن قول الله عزّ وجلّ «لهم غرف بنيت فوقها غرف».

بماذا بنيت؟ يا رسول الله؟

قال: يا علي تلك غرف بناها الله عزّ وجلّ لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة بالفضة لكل غرفة منها ألف باب من الذهب، على كل باب منها ملك موكل به فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والكافور والعنبر. وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ إذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنة ووضع على رأسه تاج الملك والكرامة وألبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوم في الإكليل تحت التاج.

قال: وألبس سبعين حلة بألوان مختلفة وضروب مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الآخر فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

فإذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً فإذا استقر بولي الله عزّ وجلّ منازله في الجنان استأذن عليه الملك الموكل بجنانه ليهنيه بكرامة الله عزّ وجلّ إياه فيقول: له خدام المؤمن من الوصفاء والوصائف، مكانك فإن ولي الله قد اتكأ على أريكته وزوجته الحور العين تهيىء له وصائفها فاصبر لولي الله.

قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيفة لها تمشي مقبلة وحولها وصائفها وعليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد. هي من مسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وعليها نعلان من ذهب مكللاة بالياقوت واللؤلؤ شركهما ياقوت أحمر، فإذا دنت من ولي الله فهمّ أن يقوم

إليها شوقاً، فتقول له يا ولي الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب فقم أنا ل ك. وأنت لي فيعتنقان مقدار خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا يملها ولا تحلّه. فإذا افتر بعض الفتور من غير ملالة نظر إلى عنقها، فإذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر وسطها لوح صفحته درة مكتوب فيها، أنت يا ولي الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تناهت نفسي وإليَّ تناهت نفسك، ثم يبعث الله إليه ألف ملك يهنونه بالجنة ويزوجونه بالحوراء. قال: فينتهون إلى أول باب من جنانه فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه، استأذن لنا على ولي الله فإن الله بعثنا إليه نهنيه، فيقول لهم الملك، حتى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم.

قال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنات حتى ينتهي إلى أول باب، فيقول للحاجب أن على باب العرصة، ألف ملك أرسلهم رب العالمين ليهنوا ولي الله وقد سألوني أن أأذن لهم عليه. فيقول الحاجب أنه ليعظم عليَّ أن استأذن لأحد على ولي الله وهو مع زوجته الحوراء.

قال: وبين الحاجب وبين ولي الله جنتان. . .

قال: فيدخل الحاجب إلى نعيم، فيقول له أن على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العزة يهنون ولي الله فاستأذن فيتقدم القيم إلى الخدام. فيقول: لهم أن رسل الجبار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم الله يهنون ولي الله فاعلموه بمكانكم. .

قال: فيعلمونه، فيؤذن للملائكة على ولي الله وهو في الغرفة ولها ألف باب وعلى كل باب من أبوابها ملك موكل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كل ملك بابه الموكل به. . .

قال: فيدخل القيم كل ملك من باب من أبواب الغرفة.

قال: فيبلغونه رسالة الجبار جل وعزّ وذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ عن أبواب الغرفة سلام عليكم إلى آخر الآية. . .

قال: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني بذلك ولي الله وما هو من الكرامة والنعيم والملك العظيم الكبير. إن الملائكة من رسل الله عز ذكره يستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلا بإذنه فذلك الملك العظيم الكبير.

قال: والأنهار تجري من تحت مساكنهم وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ والثمار دانية منهم وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ من قربها منهم يتناول المؤمن من النوع الذي يشتهيه من الثمار بغيته وهي متكىء، وإن الأنواع من الفاكهة ليقُلن لولي الله، يا ولي الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي. . . قال: وليسهر لمؤمن في الجنة إلا وله جنان كثيرة معروشات وغير معروشات، وأنهار من خمر، وأنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من عسل، فإذا دعا ولي الله بغذائه أتى بما تشتهي نفسه عند طلبه الغذاء من غير أن يسمي شهوته. . .

قال: ثم يتخلى مع أخوانه، ويزور بعضهم بعضاً ويتنعمون في جنات في ظل محدود في مثل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وأطيب من ذلك. لكل مؤمن سبعون زوجة حوراء، وأربع نسوة من الآدميين والمؤمن ساعة مع الحوراء، وساعة مع الآدمية، وساعة يخلو بنفسه مع الأرائك متكىء ينظر بعض إلى بعض، وإن المؤمن ليغشاه شعاع نور، وهو على أريكته، ويقول لخدامه: ما هذا الشعاع اللامع؟

فيقول له خدامه، بل هذه حوراء من نسائك ممن لم تدخل بها بعد، أشرقت عليك من خيمتها شوقاً إليك وقد تعرضت لك، وأحميت لقاءك فلما

أن رأتك متكئاً على سريرك تبسمت نحوك شوقاً إليك، فالشعاع الذي رأيت والنور الذي تمشيك هو من بياض ثغرها، وصفائه ونقائه ووقته. . .

فيقول ولي الله، إأذنو لها فتنزل إليه فيسترد إليها ألف وصيف وألف وصيفة يبشرونها بذلك، فتنزل إليه من خيمتها وعليها سبعون حلة منسوجة بالذهب والفضة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد صبغهن المسك والعنبر بألوان مختلفة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة طولها سبعون ذراعاً وعرض ما بين منكبيها عشرة أذرع، فإذا دنت من ولي الله أقبل الخدام بصحائف الذهب والفضة فيها الدر والياقوت والزبرجد فينثرونها عليها ثم يعانقه وتعانقه فلا يمل ولا تمل. . .

ثم قال أبو جعفر عليه السلام أما الجنان المذكورة في الكتاب فإنهن جنة عدن وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى. قال: وإن لله جناناً محفوفة بهذه الجنان وأن المؤمن ليكون له من الجنان ما أحب واشتهى يتنعم فيهن كيف يشاء وإذا أراد المؤمن شيئاً إنما دعواه إذا أراد أن يقول سبحانك اللهم فإذا قالها تبادرت إليه الخدام بما اشتهى من غير أن يكون طلب منهم أو أمر به وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني بذلك عندما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب يحمدون الله عزّ وجلّ عند فراغهم. وأما قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾.

قال: يعلمه الخدام فيأتون به أولياء الله قبل أن يسألوهم إياه، وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ قال: فإنهم لا يشتهون شيئاً في الجنة إلا أكرموا به[1].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٥٥.

المبحث السادس:

مناقشة لموضوع المبالغات في الثواب والعقاب

وقيل أن تقفل هذا السجل وتختم الحديث عما تعرضنا له في مجمل هذا الفصل تاركين للقارىء الكريم المتعطش للمزيد من هذا، الأخذ من مصادر أخرى أسهبت وأطالت من ذكر ذلك اللون الخاص من الأحاديث أودُّ الإشارة ليشكل موجز إلى إشكال أو استفهام أورد علي في بعض الأمسيات بخصوص ما ذكرت.

وحاصله... إننا سلمنا بالجزاء الإلهي نعيماً كان أو عقاباً، واعترفنا بحسن ذلك وعدالة الحكم الإلهي، إلا أننا قد تشم أحياناً رائحة المبالغة في الجزاء، فإن عدد الألف أو الألف ألف قد أصبح متكرراً بشكل يثير الريبة في أنفسنا في صحة ما ذكر وقبل، بغض النظر عن متعلق العدد... فتارة يكون الجزاء ألف حورية وأخرى ألف ألف قصر في الجنة، وثالثة ألف بستان فيه ألف ألف شجرة مثمرة وهكذا...

فإذا كان هذا جزاء مما هو لعبد مؤمن، أو هو عطاء لإطاعة أمر واحد، فما بالك كم هو عدد قصور الخلق أجمع في الجنة وما هو الغرض من هذه الكثرة ولِمَ؟

تقول للإجابة على ذلك.

أولاً: إن مقايسة عطاء الله سبحانه وتعالى وكرمه لعباده الصالحين، إلى عطاء البشر فيما بينهم هو السبب الأول لهذا التوهم القاصر. . .

إضافة إلى غفلته عن نعم الباري عزّ وجلّ علينا في هذه الدنيا، ما أكثرها وما أجلها بحيث لو كان الشجر أقلاماً والبحر مداداً لما عُدّت عطاياه. . .

والحال أن العملية لم يكن فيها أي رائحة للمعاوضة، فكيف بما وعدنا به الله سبحانه وتعالى من النعيم الأخروي، وبما أملنا به إن نحن أطعناه، وامتثلنا أوامره، وسلكنا طريق الخير في هذه الدنيا، فمجازاته لنا بإزاء أعمالنا لا بد من أن تكون عظيمة لعظمته تعالى. . .

ثانياً: إن استبعاد هذا الرقم لكل هذا العطاء جاء لقصوره المحدد للزمن، فإنما إعطاء هذه القصور وتلك العطايا الإلهية كثيرة جداً توهم شدة المبالغة، إذا كان زمن العيش فيها محدوداً كما هو الأمر في دار الدنيا. . .

ولكن نحن مقبلون على عالم أبدي، وحياة سرمدية، الخلود سمتها المميزة، لا يكون ما ذكر موجباً لتوهم المبالغة في الوعد سيما أن الله سبحانه وتعالى أمّلنا بأن تكون حياتنا المقبلة غاية في السعادة والنعيم.

وعلى هذا ينبغي أن لا نصاب بالملل والضجر أبداً، ومقتضى ذلك مع ضم قضية الخلود إليها. . . أن تكون منح الله سبحانه وتعالى لنا كما ذكرت متفضلاً كثيراً علينا. . .

والحمد لله رب العالمين

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الكافي — الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب

٣ ـ الأصول في الكافي — الكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب

٤ ـ الميزان في تفسير القرآن — الطباطبائي محمد حسين

٥ ـ مجمع البيان — الطبرسي، الشيخ أبي الفضل بن الحسن

٦ ـ تفسير الصافي — الكاشاني، محسن

٧ ـ حق اليقين — عبدالله شبر

٨ ـ روضة الواعظين — للفتال النيسابوري

٩ ـ المرآة الناظرة لمنازل الآخرة — هاشم البحراني

١٠ ـ جلاء الكروب — بحر العلوم، السيد عز الدين

١١ ـ المناقب — لابن شهراشوب، علي

١٢ ـ أضواء على دعاء كميل — بحر العلوم، السيد عز الدين

١٣ ـ عقائد الإمامية الاثنى عشر — كاشف الغطاء محمد حسين

١٤ ـ الله والإنسان — كارين ارمسترفلك

١٥ ـ الاحتجاج — الطبرسي، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن

١٦ ـ الأسفار الأربعة — الشيرازي، صدر الدين محمد

١٧ ـ الإنسان روح لا جسد — د. رؤوب عبيد

١٨ ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة — م. روزنتال ـ ب. يودين

١٩ ـ النفس والعقل لفلسفة الإغريق والإسلام — د. نعمة الجزائري

٢٠ ـ الصحيفة السجادية — الإمام علي بن الحسين
٢١ ـ الصراع في الوجود — تشارلز داروين
٢٢ ـ الطاقة والحركة — د. كارل هانز ديوارد
٢٣ ـ الحياة والطاقة — مجموعة مؤلفين غربيين
٢٤ ـ التكامل في الإسلام — أحمد أمين
٢٥ ـ الاتصال بالروح — ولترستيس
٢٦ ـ الفلسفة اليونانية — أحمد أمين
٢٧ ـ ماذا بعد الموت — الطباطبائي، محمد حسين
٢٨ ـ المواقف في علم الكلام — عبد الرحمن بن محمد الأيجر
٢٩ ـ التشريح الطبي لطلبة الطب — مجموعة أساتذة، جامعة بغداد، كلية الطب
٣٠ ـ شرح تجريد الاعتقاد — نصير الدين الطوسي
٣١ ـ حوار بين الفلاسفة والمتكلمين — الكسندر ماكوفلسكي
٣٢ ـ منازع الفكر الحديث — د. جون ستيوارت، إنكليزي
٣٣ ـ قصة الحضارة — ول ديورانت ـ ترجمة فؤاد أندراوس
٣٤ ـ على حافة العالم الأثيري — ج. آرثر فندلاي
٣٥ ـ طريق الفلاسفة والمتكلمين — السكندر ماكوفلسكي
٣٦ ـ علم الفسلجة الطبي — د. همنغتوت هل، إنكليزي
٣٧ ـ المنجد
٣٨ ـ مختار الصحاح — الجوهري: إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عطار
٣٩ ـ أقرب الموارد — سمير الخوري الشرتوني

الدوريات

جريدة نايت شر «Nature» عدد ٢٨ أغسطس ١٩٢٨ .
مجلة المقتطف، عدد ٦ ، فبراير ١٩١٥ .

صدر للمؤلف

١ ـ النظام السياسي في الإسلام على ضوء رسالة الحقوق عند الإمام علي بن الحسين

٢ ـ أسلوب القسم في القرآن

٣ ـ الروح في عالم البرزخ

٤ ـ نظرية الكفاية، وأثرها في التوزيع الإسلامي عند الإمام محمد الشيرازي

٥ ـ تطور علم الكلام عند العرب

٦ ـ كتاب دراسي، في علوم القرآن

٧ ـ النفس في فلسفة ابن سينا



الفهرست

الفصل الثاني

القسم الأول

المعاد في المنظور العلمي

الفصل الثاني

القسم الثاني

شبهة استحالة عودة المعدوم

الفصل الثاني

القسم الثالث

عالم الأثير في الإنسان لا يقبل الفناء

الفصل الثاني

القسم الرابع

الشبهات والجدل

الفصل الثالث
البرزخ
عالم الوسط بين الدنيا والآخرة

الشبهات المثارة حول الشفاعة.. والرد عليها